

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف و الترجمة، بنارس

المجلد (٤٧)	محرم الحرام ١٤٣٧هـ
العدد الحادي عشر	نوفمبر ٢٠١٥ م

المشـرف العام عبـد اللّٰه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـة:** بی ١ / ١٨ جی، ریوری تـالاب، بنـارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	**دار التاليف والترجمة** Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

محتويات العدد

الافتتاحية

حوادث الحج
نظرة في الأسباب وفي الاتهامات

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

يعتبر الحج المؤتمر السنوي العالمي الذي يجتمع فيه المسلمون علماؤهم وحكامهم وقادتهم وعامتهم وخاصتهم. فهم إلى جانب أدائهم لركن من أركان الإسلام وفريضة من فرائض الإيمان يتعارف بعضهم على بعض، ويتقارب بعضهم إلى بعض، ويزول عنهم فوارق اللون والجنس والوطن، ويوحد بينهم كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله. والوحدة الإسلامية والأخوة الإيمانية تتجلى في أبهى صورها في هذا الاجتماع الإسلامي العالمي.

وهذا الحشد العالمي الكبير الذي يجتمع فيه نحو ثلاثة ملايين من البشر رجالا ونساء، وشيبا وشبانا، وأطفالا وشيوخا في أفضل بقاع الأرض، وهي مكة المكرمة زادها الله تعظيما وتشريفا، أقول: هذا الحشد الهائل يتطلب استعدادا كافيا، وتنظيما دقيقا، وتخطيطا سليما، وتجهيزا مدبرا، ورعاية فائقة، وعناية كبيرة. ونحمد الله عز وجل أن قيض لهذا العمل رجالا أكفاء ودولة رشيدة تتمتع بكافة الوسائل المادية والمعنوية للقيام بالوظيفة الموكولة إليها، دولة اتخذت من الشريعة دستورا لها، وجعلت خدمة الإسلام والمسلمين نصب عينيها، وقد بذلت كل غال ونفيس في خدمة الحرمين الشريفين وتوفير سبل الراحة والتسهيل لقاصديهما من الحجاج والمعتمرين والزوار، حيث أصبح أداء مناسك الحج والعمرة سهلا ميسورا أكثر من أي وقت مضى. يعترف بذلك الداني والقاصي، ولا يجحده أو يتنكر به إلا المعاند اللدود.

وفي حج هذا العام (١٤٣٦ هـ = ٢٠١٥م) وقعت حادثتان مؤلمتان حزنت لهما الأمة وتألمت بهما وهي تسترجع وتحتسب وتلهج إلى الله بالتوفيق بالصبر والثبات والخروج من هذه النائبة بسلامة الإيمان وكمال التسليم والإذعان، لأنها تؤمن بالقدر خيره وشره،

وبأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنها منهية عن التضجر والتشكي على المصائب، أمامها بشارة سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له". (صحيح مسلم)

وقد تيسر لي الإلمام بأمور الحج والحجيج منذ نحو ثلاثة عقود، والاطلاع على الاستعدادات والتجهيزات، ومشاهدة تصرفات الحجاج والزوار ومدى تجاوبهم للأنظمة والمنظمين، والنظر في الأسباب التي تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه. فأود أن أسطر بعض الانطباعات والمشاهدات لفهم ملابسات الحوادث وأسباب الواقعات.

(١)

أستغرب من دقة نظر المهتمين بالأمور، وإمعانهم في التخطيط والتنفيذ. فما من مدخل أو مخرج أو تقاطع أو ممر أو مكان تجمع أو تدافع أو اختلاط بين الجنسين، أو سبب للحيلولة أمام الآخرين .. أو .. أو .. إلا وهم يعينون الحرس والمرشدين في كل هذه الأماكن الحساسة لمنع أي تدافع أو اختلاط أو تعويق. وإن شئت الوقوف على ذلك فادخل في المسجد الحرام في أي وقت شئت، وارجع بصرك مرات وكرات في المطاف عامة وعند مقام إبراهيم والملتزم والحطيم والحجر الأسود خاصة، وكذلك في المسعى وفي الممرات والطرق وعند الأبواب والسلالم الكهربائية، تجد فوجا من الحراس في الزي العسكري وفي المشالح وفي الملابس العادية، فاتحا عينيه على الوضع، يأمر وينهى، يأذن ويمنع، يقيم ويقعد، يُدخل ويُخرج، بلطف ورفق وأدب، إلا إذا دعت الحاجة إلى العزم والحزم وترجيح مصلحة الجماعة على مصلحة الأفراد، فيتصرف وفق الحاجة والمصلحة. وبإمكاننا أن نتصور كيف تكون الأوضاع إذا لم تكن هناك هذه العيون الساهرة، وإلى أي مدى تصل الأمور من الفوضى والضيق والحرج، وهل يكون بالإمكان أداء المناسك والعبادات لهذا الجمع الكبير من الشيوخ والنساء والأطفال؟

وفي الجانب الآخر ترى الأفواج من الحجيج والزوار – إلا من رحم الله – تحاول تخطي الحواجز وتعدي الخطوط الحمراء، وتجادل الحرس والمنظمين، وتلومهم وترشقهم

بنظرة الإزدراء، بل تحاول ذر الرماد في عيونهم وتجاوز الموانع والحواجز، وتغليب مصلحة الذات على مصلحة الجماعات. فماذا عسى أن يحدث إذا ترك هؤلاء يتصرفون حسب أهوائهم ومصالحهم الخاصة؟

(٢)

الاستعجال والتسابق من فطرة الإنسان، خاصة في الاجتماعات الكبيرة والزحامات الشديدة، فقد خلق الإنسان من عجل. ناهيك شاهدا على ذلك ما كان الناس عليه في حجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للإبل، فأشار بسوطه إليهم وقال: "أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع". (والإيضاع الإسراع في السير) (صحيح البخاري، كتاب الحج، باب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسكينة عند الإفاضة وإشارته إليهم بالسوط: ١٦٧١)

وعن أسامة بن زيد قال: أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة وأنا رديفه، فجعل يكبح راحلته حتى إن ذفراها ليكاد يصيب قادمة الرحل وهو يقول: "أيها الناس عليكم بالسكينة والوقار، فإن البر ليس في إيضاع الإبل" (سنن النسائي، باب فرض الوقوف بعرفة: ٣٠١٨ وصححه الألباني)

قال المهلب: إنما نهاهم عن الإسراع إبقاء عليهم لئلا يجحفوا بأنفسهم مع بعد المسافة. (فتح الباري: ٣ / ٥٢٢).

وقال السندي: لأن الناس في مسيرهم ذاك مدفوعون، يدفع بعضهم بعضا. (حاشية السندي على النسائي: ٥ / ٢٥٨).

وهنا نتذكر أيضا قصة الصحابي الذي سقط عن راحلته بعرفات فمات. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته – أو

قال: فأوقصته – قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا". (متفق عليه)

(٣)

يجب النظر في نوعية الحجاج من ناحية العلم والثقافة واللغة والوعي والشعور والعمر والجنس الخ، فهم ينتمون إلى تلك الأمة التي نسبتها في التعليم ضئيلة وللأسف على المستوى العالمي، وفيهم عدد كبير من النساء اللاتي نسبتهن في التعليم أكثر انخفاضا من الرجال. فمعظم الحجاج إما أميون أو قليلو البضاعة في العلم والمعرفة. فبذلك يمكن أن نتصور مدى إدراكهم للأنظمة واللوائح الخاصة بهم وضرورة الالتزام بها والسير بموجبها، وما الأضرار التي تترتب على إهمالها أو مخالفتها.

وبسبب انتمائهم إلى بيئات متخلفة ومجتمعات وثقافات متدنية يقل اهتمامهم بالنظافة وبآداب المشي والمرور، وبالتعامل الحسن مع الآخرين مثل زملائهم في الغرفة أو الخيمة، أو القائمين على مصالحهم من المعلمين والموجهين ورجال المرور وغيرهم. وربما لم يتيسر لمعظمهم الخروج في سفر طويل مثل هذا قبل ذلك حتى يكونوا على علم وخبرة بما تتطلبه الظروف في الغربة.

وعائق اللغة هو الآخر يحول دون تقيد كثير من الحجاج بالأنظمة والتعليمات، فهم ينتمون إلى مئات اللغات واللهجات، ومن الصعوبة بمكان تعيين آلاف المترجمين في كل هذه اللغات. ولكن الحكومة تتولى تعيين مترجمين لأشهر اللغات وأكثرها استعمالا، كذلك تنصب اللوحات الإرشادية في الطرق وأماكن التجمع بعدة لغات. ومنذ عدة أشهر طرحت الحكومة مشروع ترجمة خطبة الجمعة في الحرمين بعدة لغات مشهورة. فكل هذه الجهود تهدف إلى القضاء على عائق اختلاف اللغة لدى الحجاج والزوار قدر المستطاع.

وهناك عدد غير قليل من الحجاج من كبار السن والضعفاء من الشيوخ والعجائز، يعجزون عن أداء أعمال الحج بنشاط وسهولة، وأعمال الحج – كما هو معروف – تتطلب قوة ونشاطا وجهدا واجتهادا. وفي أماكن الزحام عند ما يؤدي الأمر إلى التدافع والاختناق يجب أن يتصرف الإنسان بحزم وحيطة ويحاول الخروج من الزحام بسرعة، وهذا لا يحسنه كبار السن والضعفاء والنساء، ويقع ما لا يحمد عقباه.

وحجاج بعض الدول يمشون في الحرم وفي المشاعر المقدسة بشكل مجموعات، حيث يمسك كل فرد من المجموعة بيد الآخر كالسلسلة، فهؤلاء عند ما يمرون في الطرق يسببون ضغطا شديدا على الآخرين ويقطعون السير، ويبثون الفزع والهلع في الآخرين خاصة في الضعفاء والنساء والأطفال. وربما يسببون التفريق بين الرفقاء وأفراد الأسرة الواحدة.

وللقضاء على مثل هذه الظاهرة وغيرها مما مر ذكرها يجب الاهتمام بتوعية الحجاج في بلدانهم وتدريبهم وتربيتهم في ضوء مثل هذه الوقائع والتجارب. وأقل ما يجب توعيتهم به هو الالتزام بتعاليم الإسلام مثل الرفق واللطف ومراعاة حقوق الآخرين وأحاسيسهم، والاجتناب عن إيذائهم وخذلانهم وجلب المشقة عليهم، فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والمسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله.

(٤)

ومما يجب ذكره والتنويه به تغلب المملكة العربية السعودية على أسباب عدد من الحوادث التي كانت تتكرر، مثل حوادث الحريق والحوادث التي كانت تقع عند رمي الجمرات. فللتغلب على حوادث الحريق في مخيمات الحجاج قامت الدولة باستبدال الخيام القماشية بالخيام المضادة للحريق. وللتغلب على حوادث الرمي أنشأت مبنى ضخما من خمسة طوابق مجهزا بكافة أجهزة السلامة والراحة، يتوزع عليها الحجاج

بتخطيط وتنظيم في غاية من الدقة. وفي الوقت نفسه قامت بتوسعة عمود الجمرات، حيث أصبحت الجمرة التي كان عبارة عن مثل عمود جدارا من ١٦ مترا يرميه الحجاج من الجانبين بكل راحة وطمانينة.

وكان الاعتماد الكلي لنقل الحجاج بين المشاعر على الباصات، ولكن كان ينشأ من ذلك بعض السلبيات، كالازدحام المروري وطول الفترة الزمنية للانتقال بين المشاعر وزيادة معدلات التلوث البيئي الخ، فتم بحمد الله إنشاء قطار المشاعر الذي يغني عن استخدام أكثر من ٣٠٠٠ حافلة، كما يرفع مستوى الأمان أثناء عملية التنقل بين المشاعر، ويعمل بطاقة استيعابية تصل إلى ١٠٠ / ألف حاج في الساعة الواحدة، ويختصر زمن التصعيد من منى إلى عرفات ليقتصر على ٢٠ دقيقة فقط.

ومشروع توسعة المسعى قد حل مشكلة كبيرة عانى منها الحجاج كثيرا في السنوات الأخيرة، وهي مشكلة الازدحام والتدافع، مما جعلهم يؤدون نسكهم في سهولة ويسر ودون مخاطر تذكر. أما مشروع توسعة المطاف فهو ذلك المشروع العملاق الذي لا يزال العمل مستمرا عليه لتصل الطاقة الاستيعابية للمطاف إلى أضعاف أضعاف العدد الحالي للطائفين ولله الحمد.

وأنواع المشاريع المختلفة المتعلقة بالحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة وبالحج والحجيج أكثر وأكبر من أن يحيط به مقال أو كتاب، وآثار البذل والعطاء أثبت وأشهر من أن يجحدها جاحد أو ينتقصها متنقص.

(٥)

أما تباكي أصحاب العمائم السوداء من أحفاد المجوس على المصابين في حادثي الرافعة ومنى وجهرهم بالشتائم وتوجيههم المطاعن ورفع أصابع الاتهامات إلى قيادة المملكة، والتنادي بتدويل الحرمين الشريفين، فكل هذا وذاك دينهم وديدنهم، ولم يأتوا بجديد، فموجات البغض والحقد للسنة التي تجيش بها صدورهم وتمتلئ بها

رؤوسهم تدفعهم لإظهار مكرهم وخبثهم بين حين وآخر، وهؤلاء يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتحينون الفرص للإيذاء، فإيذاء السنة عندهم دين وعبادة. ثم إنهم ينتظرون بفارغ الصبر ويحلمون بذلك اليوم الذي يرون أنهم يتولون فيه أمور الحرمين الشريفين فيعيثون فيهما مفسدين، يذبحون الحجاج والمعتمرين، ويهدمون المسجدين الشريفين، وينزعون الحجر الأسود ليذهبوا به إلى "المشاهد" بالكوفة، وينبشون القبر النبوي وقبور الصحابة كما يزعمون.

إنهم لم يراعوا حرمة الكعبة وقدسية الحرم قط، بل تواطؤوا على الإلحاد في الحرم، وترويع الحجاج الآمنين بنعراتهم وهتافاتهم، والتضييق عليهم وإيذائهم بمسيراتهم ولافتاتهم، ومحاولة الفتك بهم إذا تمكنوا من ذلك.

أين هؤلاء من المسجد الأقصى والقدس الشريف؟ أين هم من القبلة الأولى ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ الذي يعيث فيه اليهود فسادا منذ نحو قرن، يذبحون الركع السجود، ويدمرون ديارهم، ويذيقونهم من أنواع العذاب. فلماذا لم ينادوا ولا مرة بفرض الوصاية الدولية أو الإسلامية عليه؟ وجاءوا يتباكون على البلد الأمين، بلد الأمن والسلام، بلد الإسلام والمسلمين.

إن دعوتهم بكل شدة مرفوضة، وتباكيهم بكل صراحة مصطنع، لم ينطل ولن ينطلي على الأمة، وسيبقى الحرمان الشريفان في منأى عن أطماعهم، ويخيب الله آمالهم ويحفظ بيته وسدنته من كيدهم ومكرهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

❖❖❖

إشادة وتنويه

جهود المملكة العربية السعودية
في ضمان السلامة الجسدية للحجاج

الأستاذة بوفدح بديسي وحيدة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر

تحرص الجهات الحكومية المعنية بخدمة زوار بيت الله الحرام من حجاج ومعتمرين على توفير أفضل الخدمات، وتقديمها بالصورة التي تتوافق مع تطلعات أولي الأمر في المملكة. وسنركز في السطور التالية على جهود المملكة في رعاية الحجاج أثناء أدائهم لمناسكهم بالمشاعر المقدسة، لضمان السلامة الجسدية من مختلف الأخطار التي قد يتسبب في حدوثها كثرة الحشود والازدحام الشديد، وهذا من خلال إلقاء الضوء على بعض المشاريع الأساسية في محيط المشاعر المقدسة.

١ – تهيئة مرافق الحرمين لاستقبال ضيوف الرحمن:

تعمد الجمعيات والقطاعات الحكومية والأهلية المعنية بخدمة الحجاج، إلى وضع خطط وبرامج لخدمة الزوار والمعتمرين والحجاج خلال موسمي الحج والعمرة من كل سنة، وتجند الجهات المعنية كافة طاقاتها الآلية والبشرية، وتسخر كل إمكاناتها لتوفير أفضل الخدمات وتهيئة جو روحي تعبدي يمكن حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من تأدية شعائرهم، بكل يسر وسهولة وراحة واطمئنان، وتعمد الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في كل عام إلى وضع وتنفيذ خطة، وتهدف إلى ضمان راحة وسلامة الحجاج. فإذا اطلعنا على الخطة التي وضعتها رئاسة شؤون المسجد الحرام لعام ١٤٣٠هـ نجدها تركز على خمسة جوانب، كل جانب منها يهتم بمحور معين، وهذه الجوانب هي:

أ – الجانب التوجيهي والإرشادي: ويركز على توعية زوار بيت الله الحرام بأمور دينهم، بإقامة حلقات الدروس على أيدي عدد من المشايخ والعلماء.

ب – الجانب التثقيفي: يعني بتقديم الخدمات لزوار مكتبة الحرم المكي الشريف من الباحثين والمطالعين، واستقبال زوار معرض عمارة الحرمين الشريفين.

ج – الجانب الخدمي: ويعني بتوفير ماء زمزم وعربات لذوي الاحتياجات الخاصة، وتهيئة الفرش وتهيئة مداخل المسجد الحرام ومنع إدخال الأطعمة إلى المسجد الحرام في شهر رمضان، عدا التمر والقهوة فقط، والقضاء على المخلفات داخل ساحات الحرم وتهيئتها للصلاة، والعناية بنظافة المسجد الحرام وساحاته ومرافقه.

وتقوم بتنفيذ هذه الخدمات إدارات خاصة بها عن طريق موظفين دائمين، بالإضافة إلى العمال الموقتين في الوظائف الموسمية.

د – الجانب الفني: ويعني بتشغيل وصيانة جميع الأجهزة والأنظمة داخل الحرمين أو في محيطهما، من إنارة وتكييف وتهوية وأنظمة للصوت والتحكم وأجهزة تصوير وأجهزة الاتصال، والسلالم الكهربائية.

هـ - جانب الخدمات غير المباشرة: وتركز على إعداد خطوات تنفيذ الخطط العملية والإدارية لتسيير العمل في مواسم العمرة والحج [1]، ويتجند للقيام بهذه الخدمات عدد كبير من العمال يبلغ هذا العام (١٤٣٠هـ) ١٧٥٦ موظفا وموظفة، كما يستعان بعدد من العمال المؤقتين يصل إلى ١٥٢٣ موظفا مؤقتا، أما عدد العمالة المكلفة بالنظافة والصيانة وتشغيل الأجهزة فيبلغ ٢٥٠ عاملا وعاملة، ويندرج ضمن تهيئة مرافق الحرمين استكمال الأعمال والتشطيبات النهائية لمشروع تطوير وتوسعة المسعى (الذي سنتحدث عنه في العنصر اللاحق من هذا البحث) واستكمال وتعديل مسار جسر المشاة في المروة المؤدي إلى محطة النقل العام، والمرتبط بمنسوب سطح المسجد الحرام، وتهيئة الساحات الشرقية، وإصلاح المناطق المتضررة من مشروع المسعى، وتنفيذ نوافير شرب في مناطق متعددة من أورقة المسجد الحرام، والمساحات والمرافق التابعة له، وتحسين وتطوير عقود النظافة والصيانة والتشغيل الشاملة للحرمين والمرافق التابعة

---

[1] وائل اللهيبي وخالد عبد الله: الجهات الحكومية تبدأ بتطبيق خططها لخدمة الزوار والمعتمرين في مكة، أخبار مكة عن موقع www.omrahwork.com (١٨ / ٠٨ / ٢٠٠٩م).

لهما، واستكمال الدراسات الخاصة بتحديد الخصائص الهيدروليكية لبئر زمزم، بالتنسيق مع هيئة المساحة الجيولوجية، والعمل على استكمال مشروع تطوير نظام الفلترة والتعقيم لمياه زمزم المباركة، الذي يشمل تعبئة مياه زمزم في عبوات بلاستيكية للجمهور، كبديل عن تعبئة الجوالين، واستكمال أعمال الربط بين أنظمة التحكم بمشروع المسعى مع أنظمة التحكم بالمسجد الحرام [١].

٢ – توسعة المسعى وسلامة الحجاج أثناء الطواف:

قامت المملكة بتنفيذ العديد من المشروعات التي من شأنها التخفيف من الازدحام وتحسين مستوى الخدمات المقدمة لزوار بيت الله الحرام، مما يكفل لهم تأدية نسكهم بيسر وسهولة، ويحميهم من أخطار التدافع التي تؤدي في أسوأ الأحوال إلى وقوع وفيات.

ومن بين هذه المشاريع مشروع توسعة المسعى بين الصفا والمروة، لتيسير شعيرة الطواف، التي تعتبر من أركان الحج لقوله تبارك وتعالى: {إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما} .. (البقرة آية ١٥٨)، وهذا دليل قرآني صريح في إيجاب الطواف بهذين المعلمين الذين هما من معالم الحج والعمرة، وأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر تأكيدا وتبليغا فقال: "يا أيها الناس اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي" (السنن الكبرى للبيهقي ٥ / ٩٨) وقد أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشعيرة في حجه، وفي عمراته التي اعتمرها في حياته المباركة في الموضع الذي عينه الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة، وعلى الوصف الذي شرعه الله له [٢].

---

[١] الأجهزة الحكومية تعلن جاهزيتها لخدمة قاصدي المسجد الحرام عن موقع: www.gph-gov.sa (٠٧ / ٠٩ / ٢٠٠٩م).

[٢] عويد بن عياد المطرفي: رفع الأعلام بأدلة جواز توسيع عرض المسعى المشعر الحرام، بحث مطبوع (د ن).

وتعتبر مسألة توسعة المسعى من المسائل التي حدث فيها خلاف كبير بين كثير من العلماء بين مجيز ومانع [١]. وقد انقسمت آراء أعضاء هيئة كبار العلماء بالمملكة فيما يخص هذه المسألة، فمنهم من أجازها، ومنهم من منعها وقد تراجع بعض العلماء القائلين بالمنع عن رأيهم فأجازوها.

أما أنا فلن أناقش في هذا البحث آراء العلماء في هذه المسألة – لأنه ليس من موضوع بحثنا – وقد فصل كثير من العلماء والباحثين القائلين بجواز توسعة المسعى في أدلة الجواز، كما أنهم ناقشوا الرأي القائل بالمنع وردوا عليه بشكل مستفيض [٢].

جاءت توسعة المسعى بناء على دراسات الصفا والمروة في كتب اللغة والتفسير، والنصوص الفقهية فيما يخص حدود المسعى، والتحولات التاريخية التي مر بها مشعر منى قديما، والبيئة الطبيعية للصفا والمروة، وما طرأ عليها من تغييرات عبر التاريخ لتحقيق مناط الحكم، ومشعر الصفا والمروة قبل توسعة الحرم عام ١٣٧٥هـ، وكذلك تقرير هيئة المساحة الجيولوجية، وشهادة أهل الخبرة من أهل مكة المكرمة، وهي دراسات قدمت لهيئة كبار العلماء تستهدف اكتمال الاطمئنان على أداء شعيرة من شعائر الركن الخامس من أركان الإسلام في التوسعة السعودية الجديدة، التي بدأ الحجاج شعيرة السعي بها في موسم حج عام ١٤٢٨ هـ [٣].

---

[١] عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، توسعة المسعى عزيمة لا رخصة – دراسة فقهية، تاريخية، بيئية، جيولوجية – مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، جدة، مكة، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٧.

[٢] ينظر على سبيل المثال:

- بحث أبو سليمان عبد الوهاب إبراهيم ومعراج نواب مرزا: المسجد الحرام والمسعى والمشعر والشعيرة، دراسة فقهية جغرافية حضارية، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، س ٧، شوال / ذو القعدة ١٤٢٢ هـ.
- بحث عويد بن عياد المطرفي: رفع العلام بأدلة جواز توسيع مسعى المشعر الحرام.
- بحث توسعة المسعى، شعيرة لا رخصة، دراسة فقهية، تاريخية، بيئية، جيولوجية.
- مقالات د. أحمد المبارك الحريبي، توسعة الملك المشروعة للسعي والأحكام المتعلقة به، مجلة الحج والعمرة، ع ٦ ، ٧، ٨، ١٤٢٩هـ.

[٣] عثمان عبد الله، توسعة المسعى تيسيرا لأداء شعيرة السعي، مجلة الحج والعمرة، س ٦٣، ع ٥، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ، ص ٢١.

وبلغت تكلفة المشروع نحو ٣ مليار ريال، وتتيح توسعة المسعى فرصة السعي لنحو ٤ ملايين معتمر وحجاج على مدار اليوم، ويتوقع أن ترتفع الطاقة الاستيعابية حال إنجاز كافة مراحل المشروع لتصبح قادرة على استيعاب ١١٨,٠٠٠ شخص لكل ساعة سعي، بالإضافة إلى ١١٥,٠٠٠ و ٦٠٠ مصل، وهوالأمر الذي أسهمت فيه زيادة الرقعة المساحية للمسعى، التي كانت تقدر قبل التوسعة بـ ٢٩,٠٠٠ و ٤٠٠ متر مربع، أما بعد التوسعة، فسترتفع لتبلغ ٧٨,٠٠٠ متر مربع، شاملة كل الطوابق الأرضي والأول والثاني [١].

وقد أوجز الدكتور عبد الله بن منيع [٢] الدوافع التي وقفت من وراء مشروع توسعة المسعى في النقاط الآتية:

- شعور خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله – رحمه الله – بواجبه الفعلي نحو مسؤولية توفير وسائل الأمن بكل أنواعه وأجناسه، لحجاج بيت الله الحرام.
- تزيد أعداد الحجاج والمعتمرين عاما بعد عام.
- تقارير الجهات المعمارية، التي تؤكد على أن المبنى السابق للمسعى قد لا يحتمل الزيادات المتتابعة للحجاج [٣].

وخلاصة القول في هذا الموضوع أن مشروع توسعة المسعى قد حل مشكلة كبيرة عانى منها الحجاج كثيرا في السنوات الأخيرة، وهي مشكلة الازدحام والتدافع مما جعلهم يؤدون نسكهم في سهولة ويسر ودون مخاطر تذكر.

٣ – المشروع العملاق – جسر الجمرات – وحماية الحجاج من التدافع:

---

[١] عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، مرجع سابق، ص ٧١.

[٢] عبد الله بن منيع: عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، كان من المعارضين للتوسعة في بداية الأمر، ثم تراجع عن موقفه لصالح الجواز، بناء على عدة اعتبارت (ينظر تفصيلها في ع ٥ من مجلة الحج والعمرة لسنة ١٤٢٩هـ، ص ٢٣).

[٣] عثمان عبد الله، المرجع السابق، ص ٢٣.

لا تكتمل مناسك الحج إلا برمي الجمرات، الذي يتم في وقت محدود كل موسم حج، مما يعرضهم للتدافع والتزاحم بسبب محدودية المكان والزمان، وقد نتج عن هذا التدافع والازدحام الشديد عدة حوادث، فسجلت عشرات الوفيات في الأعوام ١٤٠٣هـ، ١٤٠٨هـ، ١٤١٠هـ، ١٤١٤هـ، ١٤١٧هـ، ١٤١٨هـ. وهذا ما جعل ولاة الأمر القائمين على شؤون الحج في المملكة يفكرون في إيجاد حل لهذه المشكلة، بما يتيح لضيوف الرحمن أن يؤدوا نسكهم في سلامة واطمئنان، وكان الحل في إنشاء جسر الجمرات، الذي يوفر إمكانية الرجم على مستويين وكان ذلك عام ١٣٩٨هـ، وتمت توسعة دائرة الرجم في المستوى العلوي ليصبح قطرها حوالي ١٦ مترا، بينما ظلت دوائر الرجم في الدور الأرضي على حالها السابق بقطر حوالي ٦ أمتار، وبلغ طول الجسر حوالي ٩٢٤ مترا من بداية منحدرة إلى نهايته، وذلك للوصول إلى حد مناسب لصعوده من قبل العجزة وكبار السن، وتوالت أعمال التحسين على الجسر لعدة سنوات [١]. وكان الهدف منها زيادة الطاقة الاستيعابية، وتفادي الحوادث والازدحام على الجسر خلال قيام الحجاج برمي الجمرات، إلا أنه سبب الزيادة المستمرة لعدد الحجاج وتكرار الحوادث والازدحام على الجسر القديم، عمدت وزارة الشؤون البلدية والقروية إلى القيام بدراسة معمقة للجسر والمنطقة المحيطة به لإيجاد أفضل الحلول لهذه المعضلة جذريا بما يتناسب مع زيادة أعداد حجاج بيت الله الحرام. وقد شارك في ذلك وبإشراف مباشر من قبل الوزارة مختلف الجهات المعنية والخبراء المختصين، من داخل المملكة ومن خارجها، واستمرت فترة الدراسات زهاء أربع سنوات عقدت خلالها عشرات الاجتماعات انتهت بالموافقة على المشروع، وترسيته على مجموعة ابن لادن السعودية للمقاولات، وبدأ تنفيذه في ربيع الآخر من عام ١٤٢٦ هـ، وبلغت مدة التنفيذ لكامل

---

[١] حبيب بن مصطفى زين العابدين: تطوير جسر الجمرات إيجابيات وسلبيات، بحث مقدم للملتقى العلمي الخامس لأبحاث الحج، معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، ص ٤.

المشروع أربع سنوات وثمانية أشهر تنتهي هذا العام بموسم حج ١٤٣٠ هـ، ويهدف مشروع تطوير جسر الجمرات والمنطقة المحيطة به إلى:

- توفير الطاقة الاستيعابية بالمنشأ الجديد لكي يتمكن ٣ ملايين حاج على الأقل من رمي الجمرات، ضمن ظروف آمنة ومريحة، وتحقق لهم السلامة والراحة خلال أدائهم هذا النسك [١].
- خفض كثافة الحجاج عند مداخل الجسر وذلك بتعدد هذه المداخل وتباعدها، مما يساهم في تفتيت الكتل البشرية عند المداخل، وتسهيل وصول الحجاج إلى الجمرات من أية جهة أتوا منها.
- توسعة أحواض الرمي، وتعديل شكل الأحواض مما يؤمن انسيابية الحركة حولها.
- توفير الخدمات الملائمة على الجسر بإنشاء أبراج تتمركز بها كل الجهات المعنية مباشرة بحركة وسلامة الحجاج، مع تأمين سبل الإخلاء والنظافة وجميع مستلزمات التشغيل.
- توسعة الساحات المحيطة بجسر الجمرات من جميع الجهات الخاصة، الشمالية والجنوبية، عند جمرة العقبة الكبرى، بما يحقق سهولة التحرك على المنسوب الأرضي.
- فصل حركة المشاة عن حركة السيارات وذلك بعمل أنفاق للسيارات تحت الأرض وتخصيص الساحة للمشاة فقط.

---

[١] سعد الغامدي، المشروع الجديد لتطوير جسر الجمرات والمنطقة المحيطة به في منى. مجلة الحج والعمرة، س ٦٢، ع ٠٥، جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ، ص ١٦.

- عمل محطات لإنزال وإركاب الحجاج وذلك غرب الجمرات بعيدا عن المشعر والساحة، مع توفير سبل لسهولة انتقالهم إلى الجسر.
- تنظيم الساحة بعد توسعتها مع إعادة تخطيط الجزء الشرقي منها، بما يوفر تساوي توزيع الحجاج، واستقامة الشوارع باتجاه الجسر.

وقد أكملت السلطات السعودية توسعة جسر الجمرات، وهي توسعة عملاقة تتميز بعدة مميزات تساعد على عمليات الإنقاذ والإخلاء ومعالجة الطوارئ وتقديم خدمات أفضل، في بيئة مريحة لأداء شعيرة رمي الجمرات، ويوضح المهندس حبيب بن مصطفى زين العابدين ملامح التوسعة المستقبلية والإيجابيات الكثيرة التي تتوفر عليها من خلال بحثه المقدم للملتقى العلمي الخامس لأبحاث الحج، ويمكن الرجوع إليه لمزيد من التفصيل [١].

هذه باختصار بعض المشاريع الهامة، التي قامت بها المملكة، وهي المشاريع التي أنجزت بتكاليف مالية باهظة، وبأيدي كوادر متميزين من أجل ضمان السلامة الجسدية لحجاج بيت الله الحرام، وتهيئة الظروف الملائمة لهم، حتى يؤدوا مناسكهم، في راحة ويسر واطمئنان بعيدا عن مخاطر التدافع والزحام.

❖❖❖

[١] المرجع نفسه، ص ١٧.

الأربعون الأمنية من صحيح السنة النبوية

الدكتور مشعل بن سيف الجعيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يعد الأمن فريضة دينية، ومطلب إنساني، وظاهرة حضارية، تسعى جميع الدول والحكومات جاهدة لنشره بين شعوبها، وتحقيقه في أوطانها، وذلك لأنه ركيزة للانتماء، وطريق للتمية والرخاء، فهو إكسير الحياة ومادتها، وطريق السعادة وعدتها، ومحور السعادة وثمرتها.

والأمن منة الله على عباده، وفى ذلك يقول تعالى: {لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف} [1]. وجزاؤه سبحانه وتعالى فى الجنة لأولياءه، وذلك في قوله تعالى: {يدعون فيها بكل فكهة ءامنين} [2].وهو دعوة سيدنا إبراهيم – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة و التسليم – لأتباعه، وذلك فى قوله تعالى: {وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا وارزق أهله من الثمرات من ءامن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير} [3].

وقد بين صلى الله عليه وسلم أهمية الأمن كمطلب ضروري، وحاجة أساسية، يمن بها رب البرية على من حازها بحيازته للدنيا بحذافيرها، وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا" [4]. لذلك فقد تنوعت أساليبه صلى الله عليه و سلم في نشره

---

[1] سورة قريش،آية: ١-٤.

[2] سورة الدخان،آية ٥٦.

[3] سورة البقرة،آية ١٢٦.

[4] صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الخوف و التقوى، ذكر الإخبار عمن طيب الله جل و علا عيشه في هذه الدنيا.

للوعي الأمني بين أصحابه وتعميقه في نفوسهم حتى أصبح الواحد منهم يمثل أمة، ويقوم بمهام جمة، لا يستطيعها ذووا الجدة والهمة، مستثيرين في ذلك بأحاديثه الشريفة وأوامره اللطيفة، التي جاءت مراعية لأبعاد الأمن وشاملة لكافة مستوياته، ولا غرابة في ذلك، إذ كان صلى الله عليه وسلم يعد المصدر الوحيد، وحامل الخبر الأكيد، من رب العبيد إلى جميع أفراد المجتمع المسلم آنذاك.

ولما كان الأمن في هذه الأيام، يعد هاجس العصر لدى كثير من الدول والبلدان، يؤكد ذلك بروز العديد من الظاهرات التي تعمل على تقويض أركانه وتهديد كيانه، ومن أبرزها: ظاهرة العولمة، وظاهرة الإرهاب، وظاهرة التكفير، وظاهرة صدام الحضارات، وظاهرة المخدرات،وظاهرة البطالة، وظاهرة الفقر وغير ذلك من الظواهر المعاصرة. فإن غاية تحقيق الأمن والأمان تعد من أسمى الغايات التي يتطلع إليها أي مجتمع، ويسعى إلى تحقيقها كل من يتولى زمام الحكم في البلاد، إذ أنه حق للرعية، وواجب تفرضه السياسة الشرعية، في جميع الأمور والأحوال المرعية، ومن أبرزها حفظ الدين والهوية، ومعاملة الناس بالعدل والسوية، والاهتمام بأهل الحاضرة والبرية. حتى يتحقق لهم رغدالعيش، والسلامة من الترف والطيش، ويتمكن المجتمع بذلك من المحافظة على تقدمه والسير في ركب الحضارة والمدنية.

ولقد جاءت السنة النبوية مفسرة ومبينة للقرآن الكريم، كما تعددت المواضع التي ذكر فيهاالأمن و مشتقاته ومترادفاته و مضامينه من خلال الكثيرمن الأحاديث الشريفة، على مختلف درجاتها و جميع طرقها، فقد كانت السنة النبوية منهجا عمليا يهدف إلى تحقيق الأمن الشامل للإنسان في الدنيا والآخرة.

والمتأمل في الواقع الأمني لمجتمعاتنا الإسلامية، يتبين له بروز العديد من الظاهرات التي ساهمت في تدني الوعي بأهمية الأمن الشامل، وضرورته لدعم عجلة التنمية والتطور. لذلك فقد جاءت من هنا فكرة جمع بعض ظواهر السنة النبوية كمساهمة متواضعة تهدف إلى تسليط الضوء على هذا الجانب الإنساني، مع مراعاة المنهج الشمولي للأمن الاجتماعي بقدر الإمكان، سائلا المولى عز وجل أن يجعل

أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وألا يحرمنا وإياكم من خيره العميم، وختاما على رسولنا الكريم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أولاً: الأمن الثقافي

أ - أمن العقيدة:

الحديث الأول: عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يقل أحدكم أطعم ربك، وضئ ربك، اسق ربك وليقل سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي، وليقل فتاي و فتاتي و غلامي" [1].

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما" [2].

الحديث الثالث: عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم، قالوا الله ورسوله أعلم، قال: "أصبح من عبادي مؤمن بي و كافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا و كذا فذلك كافربي مؤمن بالكوكب" [3].

ب – الأمن التعبدي:

الحديث الرابع: عن مسروق قالت عائشة: صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب فحمد الله ثم قال: "ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية" [4].

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق.

[2] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال.

[3] صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}.

[4] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب.

الحديث الخامس: عن إسماعيل قال سمعت قيسا قال أخبرني أبو مسعود أن رجلا قال: والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضبا منه يومئذ، ثم قال: "إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة" [١].

الحديث السادس: عن عطاء أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا" [٢].

ج – أمن العلاقات الاجتماعية:

الحديث السابع: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال: "أحي والداك" قال: نعم، قال: "ففيهما فجاهد" [٣].

الحديث الثامن: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار" [٤].

الحديث التاسع: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا و نجوا جميعا" [٥].

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام و إتمام الركوع والسجود.

[٢] صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما يكره من الثوم والبقول.

[٣] صحيح البخاري، كتاب الجهاد و السير، باب الجهاد بإذن الأبوين.

[٤] صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل.

[٥] صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه.

د – الأمن الأخلاقي

الحديث العاشر: عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلي النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا" [١].

الحديث الحادي عشر: عن البراء رضي الله عنه قال: أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع، أمرنا بعيادة المريض و اتباع الجنازة وتشميت العاطس وإجابة الداعي ورد السلام ونصر المظلوم وإبرارالمقسم،ونهانا عن سبع، عن خاتم الذهب أو قال حلقة الذهب وعن لبس الحرير والديباج والسندس والمياثر [٢].

الحديث الثاني عشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا" [٣].

ثانياً: الأمن الاقتصادي

الحديث الثالث عشر: عن أبي موسى قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم" [٤].

الحديث الرابع عشر: عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مطل الغني ظلم" [٥].

الحديث الخامس عشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: "ما هذا يا صاحب

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى {ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}.

[٢] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تشميت العاطس إذا حمد الله.

[٣] صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض...

[٥] صحيح البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب مطل الغني ظلم.

الطعام"؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني" [١].

الحديث السادس عشر:عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة" [٢].

الحديث السابع عشر: عن زيد بن خالد الجهني: أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اللقطة فقال: "عرفها سنة ثم اعرف وكاءها و عفاصها ثم استنفق بها فإن جاء ربها فأدها إليه" قال: يا رسول الله فضالة الغنم؟ قال: "خذها فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب" قال: يا رسول الله، فضالة الإبل قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه أو احمر وجهه، ثم قال: ما لك و لها، معها حذاؤها وسقاؤها حتى يلقاها ربها" [٣].

الحديث الثامن عشر: عن عبد الله بن الحارث رفعه إلى حكيم بن حزام رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البيعان بالخيارما لم يتفرقا" أوقال: "حتى يتفرقا، فإن صدقا و بينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما" [٤].

الحديث التاسع عشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لأن ياخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه" [٥].

الحديث العشرون: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل أو كان يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد و يتوضأ بالمد [٦].

---

[١] مسلم بن حجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا.

[٢] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

[٣] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى.

[٤] صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما و نصحا.

[٥] صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة.

[٦] صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد.

ثالثا: الأمن الصحي

الحديث الحادي والعشرون: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "الفطرة خمس، الختان والاستحداد و نتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظفار" [١].

الحديث الثاني والعشرون: عن أسامة بن زيد يحدث سعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها" [٢].

الحديث الثالث والعشرون: عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر" [٣].

الحديث الرابع والعشرون: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية نار، وأنهى أمتي عن الكي" [٤].

الحديث الخامس والعشرون: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية [٥].

الحديث السادس والعشرون: عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسح بيمينه" [٦].

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب الختان بعد الكبر و نتف الإبط.

[٢] صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون.

[٣] صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعجوة من السحر.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث.

[٥] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

[٦] صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

رابعاً:الأمن الجنائي

الحديث السابع و العشرون: عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "من حلف بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال. ومن قتل نفسه بحديدة عذب به في نار جهنم" [١].

الحديث الثامن والعشرون: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم يوم افتتح مكة: "لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها، قال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر، فإنه لقينهم ولبيوتهم، قال: "إلا الإذخر" [٢].

الحديث التاسع والعشرون: عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما رفعه قال: "خمروا الآنية وأوكوا الأسقية وأجيفوا الأبواب، واكفتوا صبيانكم عند العشاء، فإن للجن انتشارا وخطفة، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة، فأحرقت أهل البيت" [٣].

الحديث الثلاثون: عن عائشة رضي الله عنها أن أسامة كلم النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة فقال: "إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع، ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها"[٤].

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس.

[٢] صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة.

[٣] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع.

الحديث الحادي والثلاثون: عن همام سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار" [١].

الحديث الثاني والثلاثون: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما" [٢].

الحديث الثالث و الثلاثون: عن عبد الله بن مغفل المزني قال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخذف وقال: "إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو، وإنه يفقأ العين ويكسر السن" [٣].

خامساً: الأمن السياسي

الحديث الرابع والثلاثون: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به" [٤].

الحديث الخامس والثلاثون: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن" قالوا: كيف إذنها؟ قال: "أن تسكت" [٥].

الحديث السادس والثلاثون: عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول: ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل و فاطمة ابنته تستره فسلمت

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم "من حمل علينا السلاح فليس منا".

[٢] صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم}.

[٣] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النهي عن الخذف.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الحيل، باب غصب جارية فزعم أنها ماتت....

[٥] صحيح البخاري، كتاب الحيل، باب في النكاح.

عليه فقال: من هذه، فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال: "مرحبا بأم هانئ" فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله زعم إبن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته فلان بن هبيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ" قالت أم هانئ: وذاك ضحى [١].

الحديث السابع والثلاثون: عن عبد الله بن عمررضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو [٢].

الحديث الثامن و الثلاثون: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء و الصبيان [٣].

الحديث التاسع والثلاثون: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "فكوا العاني – أي الأسير – وأطعموا الجائع و عودوا المريض"[٤].

الحديث الأربعون: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما" [٥].

❖❖❖

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا.

[٢] صحيح البخاري، كتاب الجهاد و السير، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو.

[٣] صحيح البخاري، كتاب الجهاد و السير، باب قتل النساء في الحرب.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الجهاد و السير، باب فكاك الأسير.

[٥] صحيح البخاري، كتاب الجزية و الموادعة، باب إثم من قتل معاهدا.

الخطأ في ضبط المفاهيم الملتبسة

الجهاد والقتال

المفهوم والآفاق في الواقع المعاصر

الدكتور عصام الدين بن أحمد البشير
رئيس مجمع الفقه الإسلامي بالسودان

الجهاد في واقعنا المعاصر من المصطلحات التي عدت عليها العاديات، وجارت عليها النائبات، فأخرجته عن معناه الإسلامي الأصيل، وأبعدته عن كونه من خصائص منهج الإسلام إلى معان أبعدته عن فحواه، وحسرته عن مدلوله، مثلما حدث في غيره من مفاهيم الإسلام، الأمر الذي أوجب العناية بمصطلح الجهاد واستجلاء معانيه اللغوية، ودلالته الشرعية.

السلم هو الأصل في البناء الفكري والسلوكي للمسلم

حقيقة يعززها الاستقراء العام للشريعة في مقاصدها الكلية، وأحكامها الجزئية تقرر بأن السلام جزء من التركيب العقلي والنفسي للمسلم، بل جزء من خلقه الذي لقنه إياه الإسلام، فكلمة الإسلام ذاتها مشتقة من نفس الجذر الذي اشتقت منه كلمات السِلم والسَلم والسلام والسلامة.

فالسلام من أسماء الله الحسنى: {الملك القدوس السلام المؤمن} (الحشر: ٢٣).

وسميت الجنة دار السلام: {لهم دار السلام عند ربهم} (الأنعام: ١٢٧).

والسلام تحيته سبحانه لجميع رسله: {وسلام على المرسلين} (الصافات: ١٨١).

وتحية الملائكة لأهل الجنة: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار} (الرعد: ٢٣ – ٢٤).

وتحية عباده الصالحين في الجنة: {دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام} (يونس: ١٠).

وتحية المؤمنين لنبيهم عليه الصلاة والسلام: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} (الأحزاب: ٥٦).

وتحية المؤمنين بعضهم لبعض: {فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة} (النور: ٦١).

وهكذا بين الله سبحانه وتعالى السلام في هدايته، وجعله تحية لأصفياء خلقه، وشعارا لعباده المعترفين بفضله المؤمنين بحكمته، وقد تجسد ذلك في صورة التوجيهات العملية التي ساقها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف". [١]

وصح عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" [٢]، وهكذا تجتمع نصوص عديدة في الكتاب والسنة تسعى كلها إلى تكريس قيمة السلام في مجتمع المسلمين، حتى ليكاد المسلم يلهج بالكلمة طيلة النهار في اللقاء والدخول والخروج على من عرف ومن لم يعرف.

السلام أساس التعايش مع المجتمع الإنساني:

تبدت عالمية الإسلام في قدرته على التعايش مع كل الجماعات البشرية غير المحاربة من نصارى ويهود، ملوك وفقراء، سود وبيض، شهد له العدو قبل الصديق وفق الموجهات التالية:

- الاعتراف بأن الاختلاف بين بني البشري في الدين واقع بمشيئة الله: فقد منح الله الإنسان الحرية والاختيار في أن يفعل ويدع، وأن يؤمن أو يكفر: {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} (الكهف: ٢٩).
- الإيمان بوحدة الأصل الإنساني والكرامة الآدمية: انطلاقا من قوله سبحانه وتعالى: {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات

---

[١] رواه البخاري في الأدب المفرد ٢٤٨٥، وصححه الألباني.

[٢] سنن أبي داود ٥١٩٣، وصححه الألباني.

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا} (الإسراء: ٧٠)، والرابطة الإنسانية بينهم قائمة شاؤوا أم أبوا، وهذه الرابطة تترتب عليها واجبات شرعية يتعين رعايتها والوفاء بها.

- التعارف: لقوله سبحانه وتعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} (الحجرات:١٣)، وكما ورد في الحديث "وأنا شهيد أن العباد كلهم إخوة" [1]، فالتعارف أساس دعا إليه القرآن، وضرورة أملتها المشاركة في الدار أو الوطن بالتعبير العصري، وإعمال لروح الأخوة الإنسانية بدلا عن إهمالها أو التنكر لها.
- التعايش: إذ أن حياة المتشاركين لا تقوم بغير تعايش:: بيعا وشراء، قضاء واقتضاء، ظعنا وإقامة، وتاريخ المسلمين حافل بصور التعامل الراقي مع غير المسلمين، وقد حدد الله سبحانه وتعالى أساس هذا التعايش بقوله: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين} (الممتحنة:٨)، فغير المسلم إذا لم يبدأ بحرب ولم يظاهر على إخراج، فما من سبيل معه غير التعايش الجميل الملتزم بالبر، وهوجماع حسن الخلق، والقسط هو العدل والفضل والإحسان، وفي القسط على العدل زيادة معنى وفضل مراد.
- التعاون: فكثير من القضايا العامة تشكل قاسما مشتركا بين المسلمين وغيرهم، ويمكن التعاون، فيها كما أن الأخطار التي تتهددهم معا ليست قليلة، ويمكن أن تشكل هذه القواسم المشتركة منطلقا للتعايش والتعاون، وأهم هذه القواسم المشتركة:

---

[1] سنن أبي داود ٢ / ٨٣، وضعفه الألباني.

- الإعلاء من شأن القيم الإنسانية والأخلاق الأساس، كالعدل والحرية والمساواة.
- مناصرة المستضعفين في الأرض ومحاربة الظلم والطغيان.
- الاستخدام الأمثل لموارد البيئة وحسن التعامل معها.
- تبادل المنافع ورعاية المصالح والسعي لقيام شراكة إنسانية صحيحة لتحقيق الأمن والسلم الدوليين.

آفاق رحبة لمدلول الجهاد

من الإجحاف حصر معاني الجهاد ومضامينها في مباشرة القتال والقتل وامتشاق الحسام في وجه الخصوم، فمفهوم الجهاد أوسع مدى وكثر رحابة.

والمتأمل في الدلالة اللغوية والشرعية للجهاد في سبيل الله، يراه يشمل معاني عديدة متنوعة.

المعنى اللغوي:

الجهاد: مصدر جاهد من الجَهْد والجُهْد، وقيل الجَهْد: المشقة، والجُهد: الطاقة تقول: أجهد جهدك وقال الليث: الجَهد: ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق فهو مجهود. وقال ابن الأثير: بالفتح: المشقة وبالضم: الوسع والطاقة، وقال الأزهري: الجَهد: بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو على الجهد فيه، وقال ابن عرفة: الجهد بالضم: الوسع والطاقة، والجهد بالفتح المبالغة والغاية والاجتهاد والتجاهد بذل الوسع والمجهود، وحقيقة الجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في المدافعة باليد أو اللسان أو ما أطاق من شيء، بينما القتال مشتق من القتل، وعلى ذلك فإن كل مسلم يجب أن يكون مجاهدا وليس بالضرورة مقاتلا، إذ أن مجاهدة النفس والشيطان، ومجاهدة المنكرات، ومجاهدة المشركين بالقلم واللسان والمال والسنان، لا يتصور أن لا يكون للمسلم فيها نصيب، بخلاف القتال الذي لا يتأتى إلا عندما تتهيأ أسبابه.

المعنى الاصطلاحي:

المستقصي لدلالة الجهاد الشرعية يجد أنها لصور متعددة، وصنوف متنوعة من بذل الجهد في سبيل نصرة الإسلام وليست مقصورة على صورة القتال، فقد يكون:

- جهادا بالحجة والبيان، فعندما بعث الله نبيه بالقرآن الكريم كان التوجيه الإلهي: {فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا} (الفرقان:٥٢) أي جاهد المشركين بهذا القرآن.
- وجهادا للنفس، ففي الحديث: "المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله" [١].
- وصدعا بكلمة الحق ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد: كلمة عدل عند سلطان جائر" [٢].
- وقد يكون جهادا، بالمال ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم" [٣].
- ويكون رعاية للأبوين: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله يستأذن في الجهاد، فقال: "أحي والداك؟" قال: نعم، قال: "ففيهما فجاهد" [٤].
- وحج المرأة وعمرتها جهاد لا شوكة فيه كما صح بلك الخبر عنه صلى الله عليه وسلم.

الجهاد في مأثور السلف:

فقد عرّف ابن عباس رضي الله عنه الجهادَ بأنه: استفراغ الطاقة فيه، وألا يخاف في الله لومة لائم.

---

[١] أحمد في المسند: ٦/ ٢١، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي: ١ / ١١، قال الألباني في إسناد الإمام أحمد: "وهذا إسناد صحيح" انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢ / ٨١، برقم ٥٤٩.

[٢] رواه أبوداود: ٤٣٤٤ والترمذي ٢١٧٤، وقال عنه الألباني: صحيح.

[٣] رواه أبوداود: ٢٥٠٤، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم.

[٤] رواه البخاري: ٣٠٠٤، ومسلم ٥ / ٢٥٤٩.

وجاء عن الحسن البصري أنه قال: إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوما من الدهر بسيف.

وقال ابن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى.

وقال ابن تيمية: "الجهاد إما أن يكون بالقلب كالعزم عليه، أو بالدعوة إلى الإسلام وشرائعه، أو بإقامة الحجة على المبطل، أو ببيان الحق وإزالة الشبهة، أو بالرأي والتدبير فيما فيه نفع المسلمين أو بالقتال بنفسه".

وذكر ابن القيم مراتب الجهاد وهي:

أولا / جهاد النفس، وهو أربع مراتب:

(١)جهادها على تعلم أمور الدين.

(٢)جهادها على العمل به بعد علمه.

(٣)جهادها على الدعوة إليه ببصيرة، وتعليمه من لا يعلمه.

(٤)جهادها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، والصبر على أذى الخلق.

ثانيا / جهاد الشيطان، وله مرتبتان:

(١)جهاده على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات.

(٢)جهاده على ما يزين له من الشهوات والإرادات الفاسدة.

ثالثا / جهاد الكفار والمنافقين، وله أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، واليد.

رابعا / جهاد أصحاب الظلم والعدوان والبدع والمنكرات، وله ثلاث مراتب:

(١)باليد إذا قدر المجاهد على ذلك.

(٢)باللسان إن لم يستطع باليد.

(٣)بالقلب إن لم يستطع باللسان.

فهذه ١٣ مرتبة من الجهاد تبين أنه ليس صورة واحدة أو حالة واحدة [١].

---

[١] انظر: زاد المعاد باختصار ص ٣ وما بعدها.

مفاهيم ذات علاقة بمفهوم الجهاد:

الحرب:

مفهوم الحرب في زماننا هذا أخذ أبعادا أكبر من نشوب قتال بين دولة وأخرى، أو بين مجموعة وأخرى، فظهرت له مدلولات أخرى تمتد لتشمل الحرب الاقتصادية التي من أسلحتها: المقاطعة الاقتصادية، وتجميد الأرصدة، ونحوه.

الحرب الإعلامية: من أسلحته: الإنترنت والفضائيات والصحافة ونحوها من ضروب، كحرب الدبلوماسية والحرب الباردة والحرب الاستباقية وغيرها.

الظهور والفتح:

الظهور والفتح لا يعنيان خوضَ المعارك وإعمال السيف في العدو فقط كما قد يتبادر للأذهان، بل يمكن للمسلمين أن يفتحوا آفاقا وأقطارا فتحا سلميا لا تراق فيه قطرة دم، فلا يشهرون سيفا، ولا يطلقون طلقة، ولا يعلنون حربا، إنه الفتح السلمي الذي أصَّله الإسلام في صلح الحديبية الذي عقده الرسول صلى الله عليه وسلم مع مشركي مكة لإقامة هدنة بين الطرفين يكف كل منهما يده عن الآخر وسماه القرآن: (فتحا مبينا)، ونزلت في شأنه سورة الفتح، وسأل الصحابة رضي الله عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم: أ فتح هو يا رسول الله؟ قال: "إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح"، إنه الفتح الحضاري الذي يدخل به الناس في دين الله أفواجا، فتح القلوب بالهداية، وفتح العقول بالفكر.

الجهاد في واقعنا المعاصر .. صور متعددة

ونخلص من تعدد صور الجهاد السابقة التي أشار إليها الدلالات اللغوية والشرعية إلى عدم انحصارة في ميدان بعينه، كما أن النظرة إلى الجهاد في واقعنا المعاصر يجب أن تتجدد ميادينه التي اتسعت بتطور الزمن وتسارع إيقاع الحياة، وبالنظر إلى ما يقتضيه حال المسلمين اليوم من وعي حضاري بطبيعة المعارك المعاصرة، ومن أهم أشكال الجهاد المعاصر برأينا.

(أ)الجهاد العلمي:

العالم من حولنا يشهد تطورات علمية كبيرة بلغت حد اكتشاف خريطة الجينات البشرية، وهو لا يقل في أهميته عن غزو الفضاء وهبوط الإنسان على سطح القمر، وهنا نتساءل: أين المسلمون من ذلك كله؟ أليسوا مطالبين دينيا بالكشف عن آيات الله في الكون وفي الإنسان؟ أين هم من هذا الرباط العلمي الدائم الذي هو جهاد حقيقي في سبيل الله؟

(ب)الجهاد الحضاري:

ببذل الجهد من أجل صياغة مشروع حضاري إسلامي معاصر، يعبر عن رؤية شمولية لحاضر العالم الإسلامي، نتطلع بها إلى استشراف مستقبله، في ضوء الشهود الحضاري الرشيد بمتطلبات المرحلة واحتياجاته، والتنبه الدقيق إلى وجوب معالجة المشكلات والقضايا التي تطرحها طبيعة الحياة بالعقل الحصيف، والتخطيط السليم والعلم النافع، والعمل المتقن.

(ج)الجهاد الروحي:

وذلك بإحياء الربانية، وتجسيد القدوة الصالحة التي يكون التأثير فيها بدلالة الحال أبلغ من دلالة المقال، بتزكية النفوس، وصقل الأرواح، وتهذيب الوجدان، والتحليق في آفاق الرقائق والحقائق، والارتقاء في مدارج الإحسان.

(د)الجهاد الإعلامي:

من خلال تقديم المثل والقيم الإسلامية برؤية إعلامية ذات برامج هادفة، وقوالب جاذبة، ومناهج رشيدة، في ضوء الحفاظ على الثوابت الشرعية، والخصوصية الحضارية، مع الانفتاح الواعي على منجزات الحضارة الواعدة وكسبها المعرفي المتجدد، لنصون أجيالنا من الاستلاب الوافد الذي طغى على الفطرة، فأفسدها وجنح بها عن استقامة الدين وهدايته.

(هـ)الجهاد الفكري:

بإحياء التجديد والاجتهاد المؤسس الذي يجمع بين فقهاء الشرع وخبراء الواقع، لتقديم حلول ناجعة مرتبطة بالأصل ومتصلة بالعصر، خروجا بالأمة من حالة الجمود والتقليد والتفلت.

(و)الجهاد التنموي:

بذل الجهد من أجل تنمية مستدامة تفيد من تعدد الموارد الطبيعية، وتوفر الكفايات البشرية، والأرض الخصبة والموقع الجغرافي المتميز، لتحقيق الأمن الغذائي، والعدالة الاجتماعية والنهوض العلمي والتقني، وإزالة الأمية والتخلف والجهل والفقر والمرض، فإذا استقلت الأمة بحاجتها من التكامل الاقتصادي، كان ذلك عونا لها على استقلال قرارها من الارتهان والتبعية.

(ز)الجهاد السياسي:

للقيام بمقتضيات الحكم الرشيد القائم على التراضي، والبيعة الحرة، والشورى، لإقرار العدل، وكفالة الحقوق والحريات، ورعاية ثوابت الأمة ومصالحها العليا، وتعزيز الشراكة الشعبية، والتزام المنهج السلمي قولا وممارسة، وإحياء المصالحة الشاملة بين الأمة حكاما ومحكومين، والوقوف في خندق واحد إزاء التحديات الماثلة.

القتال في الإسلام .. استثناء:

القتال مشتق من القتل وهو معنى مخصوص من معاني الجهاد.

أسباب القتال في الإسلام منحصرة في:

١- رد العدوان، لقوله تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا} (البقرة: ١٩٠).

٢- منع الفتنة في الدين، قال تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} (الأنفال: ٣٩) ومن الفتنة: مصادرة حرية الناس، واضطهادهم لأجل عقيدتهم، وإرغامهم على تغيير دينهم كما حدث لأصحاب الأخدود، والقرآن

يعتبر هذه الفتنة أكبر وأشد من القتل، فمنع الفتنة مقصود أرفع من أن يكون مجرد هدف أرضي، ومبتغى أسمى من أن يكون مجرد مطلوب بشري، بل عبادة وطاعة وتوجه لله وحده لا يقصد به سواه.

٣- نصرة المستضعفين في الأرض، لقوله تعالى: {فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ، وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا} (النساء: ٧٤ – ٧٥).

والقتال بهذه النظرة السامية لا يمثل أصلا، وإنما جاء كحركة تحرير للإرادة الإنسانية من كل ضروب العبودية لبني البشر، لذا فمن أسباب تحريم الإسلام القتال:

- أنه مجرد إشباع للنزعات الذميمة، والرغبات الدنيئة.
- أن الإسلام أبطل حروب العصبية العنصرية، مقررا أن الناس كلهم من أصل واحد.
- وأبطل حروب العصبية الدينية {لا إكراه في الدين} (البقرة: ٢٥٦).
- ومنع حروب التشفي والانتقام للإساءات الأدبية {ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا} (المائدة: ٢).
- وأنكر حروب التخريب والتدمير.
- واستنكر حروب التنافس بين الأمم في مجال الاستطالة والعلو والاستكبار في الأرض.

{ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة} (النحل: ٩٢).

جاء الإسلام ليبطل كل هذا العدوان والعبث وليلغي كل هدف رخيص غير جدير بإراقة دماء هذا المخلوق المكرم، وإذا انعقدت الأسباب المشروعة لمطلوبات

القتال، فإن الإسلام أحاطه بقيمه النبيلة، ومنها ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والأجراء والفلاحين والرهبان، والأحاديث في ذلك مستفيضة، ومنها:

- عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: وُجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهى عن قتل النساء والصبيان [١].
- عن ابن أبي رباح رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء فبعث رجلا فقال: انظر علام اجتمع هؤلاء، فقال: على امرأة قتيل، فقال: ما كانت هذه لتقاتل، قال: وعلى المقدمة خالد بن الوليد، قال فبعث رجلا فقال: قل لخالد: لا يقتلن امرأة ولا عسيفا [٢].
- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيشا قال: "انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين". [٣]

(يتبع)

❖❖❖

[١] البخاري ٣٠١٥، في باب قتل النساء في الحرب.

[٢] رواه أبوداود في سننه ٢٦٦٩، وصححه الألباني.

[٣] رواه أبوداود في سننه ٢٦١٤، والبيهقي في الشعب ١٧٩٣٢.

الشيخ المحدث محمد عبد الرحمن المباركفوري
حياته وأعماله

(٥-٥) الشيخ عبد الكبير عبد القوي المباركفوري
الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس

٢ – مقدمة تحفة الأحوذي:

وهي مقدمة نفيسة ممتعة تحتوي في طيها على مباحث جليلة وفوائد نادرة في فن الحديث وعلومه لابد من قراءتها لكل طالب للحديث وعلومه، وهي تشتمل على بابين وخاتمة، الباب الأول جمع فيه الفوائد الضرورية والمعلومات اللازمة لفن الحديث وعلومه والكتب المتعلقة بهذا الشأن وأئمة المحدثين في (٤١) فصلا.

وأما الباب الثاني فهو يتعلق بالإمام الترمذي وجامعه، بحيث أودع فيه في (١٧) فصلا جميع المباحث الضرورية والفوائد اللازمة التي يحتاج إليها كل دارس لجامع الترمذي.

ومما يبين مدى أهمية هذه المقدمة وجلالتها في هذا الشأن أن المؤلف أشار فيها إلى كثير من المخطوطات النادرة في الحديث وعلومه ومكان وجودها في مكتبات العالم، وهذا أيضا عمل لا تقل أهميته في هذا الوقت، لأنه قام به في وقت لم تتوفر فيه فهارس المكتبات لدى كل واحد.

ولكن الدكتور مصطفى الأعظمي في أثناء ذكره لنسخة صحيح ابن خزيمة الذي قام هو بتحقيقه يقول:

"وأما ما ذكره الأستاذ المباركفوري في مقدمة تحفة الأحوذي من وجود نسخة منه في مكتبات أوربا فيبدو أنه كلام غير دقيق". [1]

---

[1] صحيح ابن خزيمة: ١ / ٢٣ (من مقدمة المحقق).

وقبل أن نعرف مدى دقة كلام الدكتور مصطفى الأعظمي نود أن نعرف بالضبط ما قاله المباركفوري في هذا الصدد، فهو عقد فصلا – وهو الفصل الأخير (أي الفصل الحادي والأربعون من الباب الأول) – في تذكرة كتب الحديث القلمية النادرة وبيان أمكنة وجودها ليستفيد منها من استطاع إليه سبيلا، وذكر في هذا الفصل عديدا من المخطوطات القيمة النادرة، وذكر منها نسخة صحيح ابن خزيمة بقوله:

"ومنها صحيح ابن خزيمة للحافظ الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، المتوفى سنة ٣١١ هـ إحدى عشرة وثلاث مائة، ويوجد هذا الكتاب أيضا في مواضع، فنسخة كاملة منه موجودة في الخزانة الجرمنية، لكن المجلد الأول منها ناقص، والمجلدان الأخيران منها سالمان عن النقص، وقد كتب الحافظ ابن حجر على هامشها أيضا حواشي نافعة".

فهل بعد هذه المعلومات الدقيقة عن هذه النسخة والبيان الكامل عن أوصافها وكذلك عن غيرها من جميع المخطوطات يوصف كلامه بأنه غير دقيق؟ فهل يمكن أن يكون المباركفوري قد وصل في الانحطاط العلمي إلى درجة أن يجترئ على الاختلاق والكذب؟ فيختلق هذه المعلومات من عنده ويكذب في بيان وجودها في الخزانة الجرمنية بالتحديد لا في مكتبات أوربا كما يقول الدكتور، كلا، فإنه يستبعد أن يكون المباركفوري في هذه الدرجة من الانحطاط في العلم، اللهم إلا إذا كان قصد الدكتور من كلامه أن المباركفوري لم يشر إلى مصدر أخذ منه معلومات وأوصاف المخطوطات مع العلم بأنه لم يخرج من الهند، وكذلك لم يذكر الأرقام التي وضعت تحتها هذه المخطوطات.

ولكن تلميذه الخاص الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري يذكر في تعليقه على "سيرة البخاري" أنه توجد فهارس لمكتبات الهند وتركيا ولندن وألمانيا في مكتبة "خدابخش" بـ "بتنه" الهند.[1]

---

[1] سيرة البخاري ٢٢٢ (هامش).

كما ذكر في موضع آخر من تعليقه على الكتاب المذكور أن فهرسة الخزانة الجرمنية وصلتهم على يد واحد من التجار العرب. [١]

فهذا مما يؤكد لنا تأكيدا بالغا بأن المباركفوري لم يكن متخرصا في ذكر هذه المخطوطات بل كانت لديه فهرسة للخزانة الجرمنية وغيرها من المكتبات في بعض الدول، فلابد أن يكون معتمدا عليها في ذكر المخطوطات وأوصافها.

ومما يزيد في تأكيده أنه توجد فهرسة لمكتبة دار العلوم في ألمانيا في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي تشتمل على جميع المخطوطات التي ذكرها المباركفوري وبين وجودها في الخزانة الجرمنية، وهي تشير إلى محل وجودها من المكتبة، لأن هذه المكتبة تستغرق مساحة كبيرة من الأراضي لضخامتها وكثرة ما تحتوي عليها ومن بينها صحيح ابن خزيمة. [٢]

هذا مع العلم بأن هذه المكتبة العظيمة كانت باقية إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية، وأما بعدها فلا يعرف حالها، لعلها أتلفتها هذه الحروب الدامية، أو ذهبت كتبها شذر مذر نظرا لما أصابت البلاد الجرمانية من الفوضى والدمار في أثناء الحروب الضارية، ولذلك نرى الشيخ عبيد الله المباركفوري حينما يذكر مخطوطة توجد في الخزانة الجرمنية أثناء تعليقه على "سيرة البخاري" يحدد وجودها إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية التي استغرقت الفترة من سنة ١٩٣٩م إلى سنة ١٩٤٥م، وأما المحدث المباركفوري فكانت وفاته قبل وقوع هذه الحرب. [٣]

---

[١] سيرة البخاري ٢٢٦ (هامش).

[٢] انظر ص ٣ من هذه الفهرسة، وكأني بالدكتور أنه قد افترض من كلام المباركفوري أنه يقصد بالخزانة الجرمنية "مكتبة برلين"، فأمعن النظر في فهرسة أهلوارت (Ahlwardt) وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، وحينما وجدهما لم يذكرا نسخة من صحيح ابن خزيمة قال بعدم وجود نسخة في مكتبة البلاد الجرمانية بل في مكتبات أوربا كلها، وخفي عليه أنه لا يستبعد وجود مكتبات أخرى غير مكتبة برلين في البلاد الجرمانية، وفي الحقيقة توجد مكتبات أخرى غير مكتبة برلين في ألمانيا، كما بدأت تظهر بعض المعلومات عنها.

[٣] انظر على سبيل المثال "سيرة البخاري" ١٨٠، ٢١٨، ٢٢٢ (هامش).

ثم لينظر القارئ الكريم مدى دقة كلام الدكتور الأعظمي، فإنه لم يذكر سببا وجيها أو غير وجيه لما يقول عن كلام الشيخ المباركفوري من أنه "كلام غير دقيق".

وقد قام الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى بالرد على ما قال الدكتور الأعظمي في أحد أعداد مجلة "الجامعة السلفية (صوت الجامعة)" التي تصدر من الجامعة السلفية ببنارس، ومع الأسف الشديد لم أتمكن من الحصول على هذا العدد لأستفيد منه [*].

وأيضا مما يثير التعجب والغرابة أن الأستاذ عمر رضا كحالة ذكر في ضمن مؤلفاته "السنن في مجلدين". [1]

وهذا كلام لا يحتاج منا أن نقوم بالرد عليه، فهو معلوم البطلان، فلا أدري كيف صدر منه هذا الكلام، فسبحان من لا ينسى ولا يطرأ عليه الخطأ والنسيان.

٣ – أبكار المنن في تنقيد آثار السنن:

إن أحد علماء الأحناف في الهند، وهو الشيخ ظهير أحسن النيموي ألف كتابا في الأحكام على نهج "بلوغ المرام" وسماه "آثار السنن"، جمع فيه أحاديث في تأييد المذهب

---

[*] ينظر: مجلة "صوت الجامعة" عدد: شعبان ١٣٩٣ هـ = سبتمبر ١٩٧٣م، ص: ٢٨ – ٣٠.

وقد قام بتفنيد زعم الدكتور الأعظمي كل من:

- الدكتور خالد ظفر الله في مقاله المنشور في مجلة "محدث" بنارس في عدد نوفمبر ٢٠٠٠م.
- الشيخ عين الحق القاسمي في رسالته للدكتوراه بعنوان: "مولانا محمد عبد الرحمن محدث مباركفوري: حيات وخدمات".
- الشيخ عبد الرشيد عراقي في خاتمة كتابه "تذكره محدث العصر علامه محمد عبد الرحمن مباركفوري".
- الدكتور عبد العليم بن عبد العظيم البستوي في مقدمة كتاب "فوائد في علوم الحديث وكتبه وأهله" وهو الباب الأول من مقدمة تحفة الأحوذي للعلامة المباركفوري، أفرده الدكتور عبد العليم بالتحقيق والتعليق والنشر في مجلد مستقل لأهميته. تحدث في مقدمته حول هذا الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه بعنوان: "الجواهر المفقودة في ألمانيا" في نحو خمس صفحات. ووعد بأنه سوف يفرده بالبحث والتحقيق في رسالة مستقلة إن شاء الله. (التحرير)

[1] معجم المؤلفين ٥ / ١٦٦.

الحنفي بزعمه، وقام بتقويتها وإن كانت ضعيفة وغير ثابتة كما قام بتزييف أحاديث تخالف المذهب الحنفي وإن كانت صحيحة ثابتة، فلما رأى المحدث المباركفوري هذا الصنيع الشائن الذي يخالف آداب البحث والتحقيق ألف كتابه "أبكار المنن"، انتقد فيه "آثار السنن" انتقادا علميا وكشف عما رامه المؤلف في كتابه، ذبا عن ساحة السنة النبوية ورفعا لرايتها، وأظهر فيه الحق والصواب، وهو مطبوع.

٤ – تحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام:

(باللغة الأردية) وهوجزءان كبيران، وهو مطبوع عدة مرات، جمع فيه المباركفوري أدلة القائلين بوجوب القراءة خلف الإمام من الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة والتابعين كما ذكر أدلة القائلين بعدم القراءة خلف الإمام، وقام بالإجابة عنها إجابة علمية.

٥ – خير الماعون في منع الفرار من الطاعون:

(باللغة الأردية) جزءان متوسطان، ذكر في الجزء الأول الأحاديث والآثار التي تدل على عدم جواز الفرار والخروج من الموضع الذي وقع فيه وباء الطاعون، وأفرد الجزء الثاني بذكر الأجوبة عن أدلة القائلين بجواز الفرار ورفع شبهاتهم وأعذارهم.

٦ – المقالة الحسنى في سنية المصافحة باليد اليمنى:

(باللغة الأردية) جزء متوسط موضوعها ظاهر من اسمها، وهي عديم النظير في هذه المسألة، ومشى المؤلف فيها أيضا على نهجه المعروف، وهو إيراد الأدلة الصحيحة الثابتة ورد أدلة المعترضين مع العلم بأنه يوجد اختلاف كبير بين الأحناف وجماعة أهل الحديث في الهند في المصافحة باليد اليمنى فقط، أو باليدين كليهما، فالأحناف يرون هذا الأخير ويثبتون ذلك بتحمس شديد، بينما ترى جماعة أهل الحديث المصافحة باليد اليمنى فقط مستدلين في ذلك بالأحاديث الصحيحة.

٧ – كتاب الجنائز:

(بالأردية) جزء متوسط، استوعب فيه أحكام الجنازة ومسائلها.

٨ – نور الأبصار:

(بالأردية) جزء لطيف، أثبت فيه وجوب الجمعة في القرى، ورد على من ينكر وجوبها على أهل القرى ردا حسنا.

٩ – ضياء الأبصار:

١٠ – تنوير الأبصار:

(بالأردية) وكلاهما في تأييد "نور الأبصار".

١١ – القول السديد فيما يتعلق بتكبيرات العيد:

(بالأردية) بين فيه أن مسلك أكثر الصحابة الكرام والتابعين العظام والأئمة المجتهدين وعامة أهل الحق هو العمل على اثني عشر تكبيرا في صلاة العيدين، وجمع الأدلة والأقوال في تأييده، ورد أدلة المخالفين.

هذا ولشيخنا رحمه الله رسائل أخرى خطية في مسائل عديدة لم تطبع إلى الآن وبعضها لم يتم، فمنها:

١ – الدر المكنون في تأييد خير الماعون.

٢ – الوشاح الإبريزي في حكم الدواء الإنكليزي.

٣ – إرشاد الهائم إلى منع خصاء البهائم.

٤ – الكلمة الحسنى في المصافحة باليد اليمنى. (لم يتم)

٥ – رسالة في رفع اليدين للدعاء بعد الصلاة المكتوبة. (لم يتم)

٦ – رسالة في مسائل العشر. (لم تتم) كلها بالأردية.

٧ – جمع الفتاوى المتفرقة لشيخه العلامة السيد نذير حسين المحدث الدهلوي وأضاف إليها فتاواه في بعض المواضع، ورتبها بشكل تأليف في مجلدين كبيرين.

٨ – كتب هو فتاوى أخرى كثيرة ما بين مطول ومتوسط ومختصر يعسر عدها.

٩ – جمع في أواخر عمره فتاوى شيخه عبد الله الغازي فوري ورتبها على الأبواب الفقهية.

وقد عقد العزم في آخر حياته على شرح مبسوط على موطأ الإمام مالك، كما كان يريد أن يكتب الرد على "الجوهر النقي"، وبالفعل قد جمع بعض المواد والمباحث تتعلق بالرد على صاحب "الجوهر النقي"، ولكن وافته المنية، فحالت بينه وبين أمنيته. [1]

---

[1] اعتمدنا في بيان مؤلفاته على ما كتبه صاحب ترجمته في خاتمة مقدمة تحفة الأحوذي (٢ / ٢٠٥ – ٢١١).

مرضه ووفاته:

قد أصابه مرض في العين في آخر عمره، وعلى إثر هذا المرض فقد بصره، وأكمل المجلدين الأخيرين من شرح جامع الترمذي في هذه الحالة بمساعدة تلميذيه الشيخ عبيد الله الرحماني صاحب "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، والشيخ عبد الصمد المباركفوريين رحمهما الله تعالى، فكان يلقي عليهما ما يريد أن يكتب في شرح الأحاديث من المباحث السامية والفوائد البديعة من ناحية الإسناد والمتن، حتى أكمل هذا الشرح الجليل في حياته الميمونة السعيدة.

هذا وقد عرض عليه أهله غير مرة حينما فقد بصره أن يذهب إلى دهلي أو لكنؤ أو بلدة أخرى ليعالج عينيه عند طبيب حاذق في معالجة العين ومداواة أمراضها ليقدح عينيه إن كان له أمل قوي في نجاح الأمل، وكان الشيخ يرد مقترحهم، ولا يلتفت إلى ما عرضوا عليه، وإن كانت ضرارة البصر بلاء عظيما، سيما في حق من هو مشتغل بالتصنيف والتأليف من أهل العلم. [١]

وفي رجب سنة ١٣٥٣ هـ سافر إلى دهلي لطبع المجلد الرابع من شرح الترمذي فألح عليه أهله أن يعالج هناك عينيه في مستشفى يختص بمداواة أمراض العين وقدحها وقد أشار عليه بذلك أصحابه ومعارفه من العلماء أيضا لما رأوا أن الضرارة تخل في التصنيف والتأليف غاية الإخلال، فدخل في مستشفى كبير مختص بمعالجة العين، فأجريت على إحدى عينيه عملية جراحية، وبعون الله تعالى عاد بصره بعد زمن يسير. [٢]

وبعد ما رجع إلى موطنه أخذه مرض اختلاج القلب، وقضى شعبان نصفه ورمضان كله في غاية الابتلاء والمصيبة والكرب، وكانت هذه النوبة تتكرر عليه.

وإضافة إلى ذلك أخذته الحمى في هذه الفترة، حتى غربت هذه الشمس البازغة في السبعين من عمره في ثلث الليل، للسادس والعشرين من شوال سنة ١٣٥٣ هـ من الهجرة (للثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٣٥م). [٣]

---

[١] مقدمة تحفة الأحوذي: ٢ / ٢١٤ – ٢١٥، مقدمة المقالة الحسنى: ١٣ – ١٤، نزهة الخواطر: ٨ / ٢٤٢.

[٢] مقدمة تحفة الأحوذي: ٢ / ٢١٥، مقدمة المقالة الحسنى: ١٣ – ١٤، تذكره علماء مباركفور: ١٥٦.

[٣] مقدمة التحفة: ٢ / ٢١٥، معجم المؤلفين: ٥ / ١٦٦، نزهة الخواطر: ٨ / ٢٤٢، مقدمة أبكار المنن: ٨، مقدمة المقالة الحسنى: ١٣، مختارات الأحاديث والحكم النبوية: ٢٠، تذكره علماء مباركفور: ١٥٦، (ويقول الشيخ محمد راغب الطباخ: "والمؤلف توفي قبل سنة ١٣٦٠ هـ بقليل، رحمه الله تعالى" (الثقافة الإسلامية: ٢٣١).

وقد تنافس في الصلاة عليه العلماء والكبراء والأغنياء والفقراء والصلحاء والزهاد، فكانت جنازته جنازة مشهودة، حضر فيها جم غفير ولم ير مثل هذا الازدحام والاجتماع على جنازة في تاريخ مباركفور. [١]

يقول الشيخ أبو يحيى إمام خان النوشهروي:

"اجتمع في الصلاة عليه جم غفير لا نظير له، واشترك فيها جميع الفرق الإسلامية بدون أي تفريق، وسار قطار مملوء بالزائرين من مئو – رابع محطة من مباركفور – ولم يقف في طريقه على أي محطة، خشية أن يحرم أحد من الزوار من أداء الصلاة عليه". [٢]

أثر وفاته في المسلمين:

قد انتشر هذا الخبر المدهش في المسلمين بواسطة الجرائد والمجلات، فتألموا وتأسفوا كثيرا على هذه الكارثة العظيمة، لأنهم فقدوا بذلك شخصا كان الوقت في حاجة ماسة إلى مثله، وجادت قرائح بعضهم فرثاه بقصائد طويلة باللغة العربية والفارسية والأردية عدد فيها محاسنه وفضائله، وأبدى ما أصابه على وفاته من الهم والغم، وأرخ بعضهم لوفاته بأبيات شعرية، وعبر العلماء عما في قلوبهم من الحزن الشديد والقلق بكتاباتهم في الجرائد والمجلات والرسائل.

فقال الشيخ المولوي محمد إسحاق البستوي (خريج المدرسة الرحمانية) قصيدة طويلة باللغة العربية ذكر فيها محاسنه ونوه مؤلفاته القيمة تنويها بالغا. (انظر مجلة محدث الشهرية، يونيو ١٩٣٥م).

كما رثاه أيضا الشيخ عبد الله الندوي (مدرس في دار الحديث الرحمانية) بعنوان: "رثاء المحدث الكبير أبي العلى عبد الرحمن المرحوم، باللغة العربية، وعبر عن مشاعره نحو وفاته بحيث وصفها بأنها حادثة عظمى فجعت الناس وآلمتهم إيلاما شديدا

---

[١] مقدمة التحفة: ٢ / ٢١٥، تذكره علماء مباركفور: ١٥٦.

[٢] تراجم علماء حديث هند: ٣٢٨.

لأنهم فقدوا بوفاته شخصية عظيمة كان الوقت في حاجة إلى أمثاله ممن يتفانون في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين. (انظر مجلة محدث الشهرية، ابريل ١٩٣٥م)

وقد نشر الشيخ عبد الحليم ناظم، مدير مجلة "محدث" الشهرية خبر وفاته في الجريدة المذكورة بكل ألم وتأسف، وذكر فضائله وعدد محاسنه، ونظم قصيدة شعرية في رثائه باللغة الأردية، عبر فيها عن حزنه وألمه على وفاة المحدث المباركفوري.[1]

وممن أرخ لوفاته بالأبيات الشعرية الشيخ أبو النعمان عبد الرحمن المئوي الأعظمي فقال:

"تاريخ محمود علامه مباركپورى"

١٣٥٣

كنت محزونا كئيبا   جاءني نبــأ كئيب

قلت تاريخيــه حقــــا   وأنـــا فيــه مصيب

غاض ماء الزهد همـا   فاظ مولانــا الأديب

١٩٣٥   ١٣٥٣

وكذلك نظم تاريخ وفاته في الأبيات باللغة الفارسية:

چون شنيدم حال موت أبي العلى   مضطرب شد قلب محزون گفت آن

بهر تاريخ وفاتش آمده   بيهقي وقت حالا رفت آه[2]

١٣٥٣

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

[1] مجلة "محدث" (دهلي) يونيو ١٩٣٥م.

[2] مجلة "أهل الحديث" (أمرتسر ٣ / ذو القعدة ١٣٥٣ هـ = ٨ / فبراير سنة ١٩٣٥م وفي نفس المجلة ٢٦ / شوال ١٣٥٣هـ = ١ / فبراير ١٩٣٥م، ص ١٤ إعلان نبأ وفاة الشيخ المباركفوري.

مفهوم المخالفة

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

تعليق: الشيخ محمد أسلم المباركفوري
الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس

النوع الرابع: مفهوم العدد: وهو تعليق الحكم بعدد مخصوص، فإنه يدل على انتفاء الحكم فيما عدا ذلك العدد، زائدا كان أو ناقصا، وتحقيق الكلام فيه أن الحكم إذا قيد بعدد مخصوص، كان منه ما يدل على ثبوت الحكم فيما زاد على ذلك العدد بطريق الأولى، ولا يدل على ثبوته فيما نقص عنه، ومنه ما هو بضد ذلك، والأول كحديث: "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث" [١] دل بطريق الأولى على أن ما زاد على القلتين لا يحمل الخبث، ولم يدل على ذلك فيما دون القلتين. ومثال الثاني: إذا قيل اجلدوا الزاني مائة، دل بطريق الأولى على وجوب جلد تسعين، وما قبلها من مقادير العدد، لدخوله في المائة، بدلالة التضمن، ولم يدل على زيادة على المائة، فما لم يدل على التقييد بطريق الأولى، كالناقص عن القلتين والزائد عن مائة سوط، هو محل النزاع في مفهوم العدد، لأن ما يفهم بطريق الأولى، يكون من باب مفهوم الموافقة، فلا يتجه فيه الخلاف، وقد ذهب إلى العمل بمفهوم العدد الشافعي، كما

---

[١] رواه أبوداود (٦٤) والترمذي (٦٧) وابن ماجه (٥١٧) وأحمد (٢ / ٢٧) والبيهقي (١ / ٢٦١) وصححه ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني (١ / ٢١) وغير واحد من الائمة. وتكلم فيه ابن عبد البر في التمهيد (١ / ٣٣٥).

وقال الحاكم (١ / ٢٢٥): هو صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا جميعا بجميع رواته، ولم يخرجاه. انظر الكلام حول هذا الحديث في: التلخيص الحبير (١ / ٢٨) وعلل ابن أبي حاتم (٩٦) والتنكيل (٢ / ٥)، والدرر في تخريج أحاديث المحرر (٣ / ١٣).

نقله عنه أبوحامد وأبو الطيب الطبري والماوردي وغيرهم [١]، ونقله أبو الخطاب الحنبلي عن أحمد بن حنبل [٢]، وبه قال مالك وداود الظاهري [٣]، وبه قال صاحب الهداية من الحنفية [٤]، ومنع من العمل به المانعون بمفهوم الصفة [٥].

قال الشوكاني: والحق ما ذهب إليه الأولون، والعمل به معلوم من لغة العرب ومن الشرع، فإن من أمر بأمر وقيده بعدد مخصوص، فزاد المأمور على ذلك العدد أو نقص عنه، فأنكر عليه الآمر الزيادة أو النقص، كان هذا الإنكار مقبولا عند كل من يعرف لغة العرب، فإن ادعى المأمور أنه قد فعل ما أمر به، مع كونه نقص عنه أو زاد عليه، كانت دعواه هذه مردودة عند كل من يعرف لغة العرب. (إرشاد الفحول، ص:١٨١ - ١٨٢).

النوع الخامس: مفهوم الغاية: وهو مد الحكم إلى غاية بصيغة إلى أو حتى [٦]، ومعناه عند من يقول به، أن حكم ما بعدها يخالف عما قبلها، كالحل بعد نكاح زوج غيره في قوله تعالى: "فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره" (البقرة: ٢٣٠) وأن لا صيام بعد دخول الليل، في قوله عز وجل: "ثم أتموا الصيام إلى الليل" (البقرة: ١٨٧)،

---

[١] وكذا نقله الإسنوي في التمهيد (ص ٢٥٢)، وانظر: المنخول للغزالي (ص ٢٠٩) بتحقيق: محمد حسن هيتو.

[٢] وانظر: المختصر لابن اللحام (ص ١٣٤) والمسودة (٣٢١).

[٣] انظر: المختصر لابن اللحام (ص ١٣٤).

[٤] وبه قال الشريف التلمساني ومعظم أصحاب الشافعي والطحاوي وأبوبكر الرازي، ونسبه إلى الجمهور الإسنوي. انظر: نهاية السول (١ / ٣٧٠) والتمهيد (ص ٢٥٢).

[٥] منهم: السرخسي والبزدوي والبيضاوي وإمام الحرمين الجويني والباقلاني والآمدي والمعتزلة. انظر: المعتمد (١ / ١٥٧) ومسلم الثبوت (١ / ٤٣٢) وكذلك الأشعرية.

[٦] انظر: المستصفى (٢ / ٢٠٨).

وإلى العمل به ذهب الجمهور [(١)]، وبه قال بعض من لم يعمل بمفهوم الشرط كالغزالي[(٢)]، وبسط الكلام في تقريره، وكذا الموفق ابن قدامة[(٣)].

قال القاضي في التقريب: صار معظم نفاة دليل الخطاب إلى أن التقييد بحرف الغاية، يدل على انتفاء الحكم عما وراء الغاية، قال: ولهذا أجمعوا على تسميتها غاية، وهذا من توقيف اللغة معلوم، فكان بمنزلة قولهم: تعليق الحكم بالغاية موضوع للدلالة على أن ما بعدها بخلاف ما قبلها انتهى. قال الشوكاني: ولم يخالف في ذلك إلا طائفة من الحنفية والآمدي[(٤)]، ولم يتمسكوا بشيء يصلح للتمسك به قط، بل صمموا على منعه، طردا لباب المنع من العمل بالمفاهيم، وليس ذلك بشيء. (إرشاد الفحول ص: ١٨٢)

النوع السادس: مفهوم اللقب: وهو تعليق الحكم بالاسم العلم، نحو قام زيد، أو اسم النوع، نحو في الغنم زكاة، فالأول عند القائلين بمفهوم اللقب: دل على نفي القيام عن غير زيد، والثاني: دل على نفي الزكاة عن غيرها، قال ابن قدامة: أنكره الأكثرون [(٥)]، وهو الصحيح، لأنه يفضي إلى سد باب القياس، وأن تنصيصه على

---

(١) انظر: المسودة (ص ٣٢٠)

وقال ابن النجار: هو أقوى من مفهوم الشرط من جهة الدلالة، لأنهم أجمعوا على تسميتها حروف الغاية، فلو ثبت الحكم بعدها لم يفد تسميتها غاية. شرح الكوكب المنير (٣ / ٥٠٧). وانظر: المختصر في أصول الفقه لابن اللحام (ص ١٣٤).

(٢) المستصفى (٢ / ٢٠٨).

(٣) روضة الناظر (ص ١٤٤).

(٤) انظر: فواتح الرحموت (١ / ٤٣٢) والمستصفى (٢ / ٢٠٨) والإحكام للآمدي (٣ / ٩٢).

(٥) منهم: الرازي والشافعي والإسنوي (نهاية السؤل ١ / ٣٦٢ والتمهيد ص ٢٦١) وغيرهم من الشافعية، وابن عقيل والشريف التلمساني والقرافي من المالكية والحنفية (مسلم الثبوت ١ / ٤٣٢). قال الآمدي: واتفق الكل على أن مفهوم اللقب ليس بحجة خلافا للدقاق وأصحاب الإمام أحمد، ثم اختار مذهب الجمهور (٣ / ٩٥) وبه قال مالك وداود واختاره الصيرفي وابن خويز منداد واختاره أبو البركات وغيره: أنه حجة إن كان بعد سابقة ما يقتضي التعميم. المسودة (ص ٣١٥).

قال الشنقيطي: مفهوم اللقب من أضعف المفاهيم. أضواء البيان (١ / ٤٩٦) والمذكرة في أصول الفقه (ص ٢٣٩). وبه قال القرافي من المالكية (الذخيرة ١ / ٥٩).

الأعيان الستة في الربا، تمنع جريانه في غيرها، ولا فرق بين كون الاسم مشتقا كالطعام، أي فإنه مشتق من الطعم أو غير مشتق كأسماء الأعلام. انتهى (روضة الناظر: ص ١٤٥)

قال الشوكاني بعد ذكر من ذهب إلى العمل به مطلقا: وحكى ابن برهان في الوجيز، التفصيل عن بعض الشافعية، وهو أن يعمل به في أسماء الأنواع لا في أسماء الأشخاص [١]، وحكى ابن حمدان وأبو يعلى من الحنابلة تفصيلا آخر، وهو العمل بما دلت عليه القرينة دون غيرها [٢]، قال الشوكاني: والحاصل أن القائل به كلا أو بعضا، لم يأت بحجة لغوية ولا شرعية ولا عقلية، ومعلوم من لسان العرب أن من قال: رأيت زيدا، لم يقتض أنه لم ير غيره قطعا، وأما إذا دلت القرينة على العمل به، فكذلك ليس إلا القرينة، فهو خارج عن محل النزاع. (إرشاد الفحول: ص ١٨٢).

النوع السابع: مفهوم الحصر وهو أنواع: أقواها "ما" و "إلا"، نحو: ما قام إلا زيد، وقد وقع فيه الخلاف، هل هو من قبيل المنطوق أو المفهوم؟ ذهب الجمهور إلى أنه من قبيل المفهوم، قال الشوكاني [٣]: وهو الراجح، والعمل به معلوم من لغة العرب، ولم يأت من لم يعمل به بحجة مقبولة، ثم الحصر بإنما، وهو قريب مما قبله في القوة، قال الكيا الطبري: وهو أقوى من مفهوم الغاية، وقد نص عليه الشافعي في الأم، وصرح هو وجمهور أصحابه أنها في قوة الإثبات والنفي بما وإلا، وقد وقع الخلاف هل هو منطوق أو مفهوم؟ والحق أنه مفهوم، وأنه معمول به، كما يقتضيه لسان العرب، ومثاله قوله عليه السلام: "إنما الولاء لمن أعتق" [٤].

---

[١] انظر: التمهيد للإسنوي (ص ٢٦٢).

وقال ابن السبكي في الإبهاج (١ / ٢٣٤): ثم قال ابن برهان: وهذا ليس بصحيح، لأن أسماء الأنواع نازلة في الدلالة منزلة أسماء الأشخاص، إلا أن مدلول أسماء الأنواع أكثر، وهما في الدلالة مستويان. وانظر: نهاية السول (١ / ٣٦٣).

[٢] انظر: إرشاد الفحول (ص ١٨٢).

[٣] انظر: إرشاد الفحول (ص ١٨٢).

[٤] أخرجه البخاري (٢١٦٨) ومسلم ١٥ – ١٥٠٥ من حديث عائشة رضي الله عنها.

ثم حصر المبتدأ في الخبر، وذلك بأن يكون معرفا باللام أو الإضافة، نحو: العالم زيد، وصديقي عمرو، فإنه يفيد الحصر، إذ المراد بالعالم وصديقي، هو الجنس، فيدل على العموم، إن لم تبن هناك قرينة تدل على العهد، فهو يدل بمفهومه على نفي العلم عن غير زيد، ونفي الصداقة عن غير عمرو، وذلك أن الترتيب الطبعي أن يقدم الموصوف على الوصف، فإذا قدم الوصف على الموصوف معرفا باللام أو الإضافة، أفاد العدول مع ذلك التعريف، إن نفي ذلك الوصف عن غير الموصوف مقصود للمتكلم، وقيل إنه يدل على ذلك بالمنطوق [1]، قال الشوكاني: والحق أن دلالته مفهومية لا منطوقية، وإلى ذلك ذهب جماعة من الفقهاء والأصوليين، ومنهم إمام الحرمين الجويني والغزالي [2]، وأنكر جماعة منهم القاضي أبوبكر الباقلاني والآمدي [3] وبعض المتكلمين (إرشاد الفحول، ص: ١٨٣)، ومن أمثلته: "تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم" [4] "والشفعة فيما لم يقسم" [5] وقد بسط الكلام على هذه الأنواع الثلاث الموفق ابن قدامة في روضة الناظر (٢ / ٢١٧)، والغزالي في المستصفى (٢ / ٢٠٧) فارجع إليها، والكلام في تحقيق أنواع الحصر محرر في علم البيان، وله صور كثيرة من تتبعها من مؤلفاتهم، من مثل الكشاف للزمخشري، وما هو على نمطه، وجدها تزيد على خمسة عشر نوعا.

---

[1] المستصفى (٢ / ٢٠٧).

[2] المصدر السابق (٢ / ٢٠٧). وبه قال جماعة من الفقهاء، والجرجاني وابن قدامة وأبو الخطاب وابن النجار. انظر: المسودة (ص ٣١٦) وشرح الكوكب المنير (٣ / ٥١٥).

[3] إحكام الإحكام (٣ / ٩٨).

[4] أخرجه الترمذي (٣) وأبوداود (٦١) وابن ماجه (٢٧٥) والدارمي (١ / ١٧٥) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١ / ١٦١) والبيهقي (٢ / ١٧٣، ٣٧٩) وأحمد (١ / ١٢٣) والخطيب في تاريخه (١٠ / ١٩٧) والدارقطني (١ / ٣٦٠) وابن أبي شيبة (١ / ١٥٥) وأبو نعيم في الحلية (٨ / ٣٧٢).

انظر الكلام عليه مفصلا في نصب الراية (١ / ٣٠٧) وفي تلخيص الحبير (١ / ٢١٦) وفي الإرواء (٢ / ٨) وهداية الرواة (١ / ١٨٨).

[5] أخرجه البخاري (٢٢٥٧) عن جابر بن عبد الله .

النوع الثامن: مفهوم الحال، أي تقييد الخطاب بالحال، قال الشوكاني: وقد عرفت أنه من جملة مفاهيم الصفة، لأن المراد الصفة المعنوية لا النعت، وإنما أفردناه بالذكر تكميلا للفائدة، قال ابن السمعاني: ولم يذكره المتأخرون، لرجوعه إلى الصفة وقد ذكره سليم الرازي في التقريب وابن فورك. (إرشاد الفحول، ص: ١٦)

النوع التاسع: مفهوم الزمان، كقوله تعالى: "الحج أشهر معلومات" (البقرة: ١٩٧)، وقوله: "إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة" (الجمعة: ٩)، وهو حجة عند الشافعي كما نقله الغزالي [١]، وهو في التحقيق داخل في مفهوم الصفة، باعتبار متعلق الظرف المقدر، كما تقرر في علم العربية.

النوع العاشر: مفهوم المكان، نحو: جلست أمام زيد، وهو حجة عند الشافعي كما نقله الغزالي وفخر الدين الرازي [٢]، ومن ذلك لو قال: بع في مكان كذا، فإنه يتعين، وهو أيضا راجع إلى مفهوم الصفة، لما عرفت في النوع الذي قبله.

شروط القول بمفهوم المخالفة:

الأول: أن لا يعارضه ما هو أرجح منه، من منطوق أو مفهوم موافقة، وأما إذا عارضه قياس، فلم يجوز القاضي أبوبكر الباقلاني ترك المفهوم به، مع تجويزه ترك العموم بالقياس، كذا قال. ولا شك أن القياس المعمول به يخصص عموم المفهوم كما يخصص عموم المنطوق، وإذا تعارضا على وجه لا يمكن الجمع بينهما، وكان كل واحد منهما معمولا به، فالمجتهد لا يخفى عليه الراجح منهما من المرجوح، وذلك يختلف باختلاف المقامات، وبما يصاحب كل واحد منهما من القرائن المقوية له [٣].

---

[١] في المنخول (ص ٢٠٩) وفي المستصفى (٢ / ٢٠٥) ونقله الإسنوي في التمهيد (ص ٢٥٩).

[٢] انظر: المستصفى (٢ / ٢٠٦) والمنخول (ص ٢٠٩) ونقله أيضا الإسنوي في التمهيد (ص ٢٥٩).

[٣] ذكره الإمام الشوكاني في إرشاد الفحول (ص ١٧٩).

قال شارح اللمع [١]: دليل الخطاب إنما يكون حجة إذا لم يعارضه ما هو أقوى منه، كالنص والتنبيه، فإن عارضه أحدهما سقط، وإن عارضه عموم صح التعلق بعموم دليل الخطاب على الأصح، وإن عارضه قياس جلي قدم القياس، وأما الخفي فإن جعلناه حجة كالنطق قدم دليل الخطاب، وإن جعلناه كالقياس فقد رأيت بعض أصحابنا يقدمون كثيرا القياس في كتب الخلاف، والذي يقتضيه المذهب أنهما متعارضان. انتهى. (إرشاد الفحول، ص: ١٨٠).

قلت: ومثاله ما قال جرير بن عبد الله يوم مات المغيرة بن شعبة، قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله تعالى وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير الخ (رواه البخاري) [٢]، فإن ظاهره يقتضي أن لا يكون بعد إتيان الأمير الاتقاء والوقار والسكون، لأن حكم ما بعد حتى – التي للغاية – خلاف ما قبل، لكن يقال: إن الاتقاء والوقار والسكون عند إتيان الأمير يلزم بالطريق الأولى، لأن شرط اعتبار مفهوم المخالفة فقدان مفهوم الموافقة، وإذا اجتمعا يقدم المفهوم الموافق على المخالف.

الشرط الثاني: أن لا يكون المذكور قصد به الامتنان، كقوله تعالى: "لتأكلوا منه لحما طريا" (النحل: ١٤)، فإنه لا يدل [٣] على منع أكل ما ليس بطري.

الشرط الثالث: أن لا يكون المنطوق خرج جوابا عن سؤال متعلق بحكم خاص ولا حادثة خاصة بالمذكور، هكذا قيل ولا وجه لذلك، فإنه لا اعتبار بخصوص السبب ولا بخصوص السؤال، وقد حكى القاضي أبويعلى في ذلك احتمالين [٤]، قال

---

[١] لم أقف عليه.

[٢] وتمامه: فإنه يأتيكم الآن، ثم قال: استغفروا لأميركم، فإنه كان يحب العفو. ثم قال: أمابعد فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، قلت: أبايعك على الإسلام فشرط عليّ، والنصح لكل مسلم، فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل. أخرجه البخاري (٥٨) وأحمد (٤ / ٣٥٧).

[٣] في الأصل (يدل) والتصويب من إرشاد الفحول (ص ١٨٠).

[٤] انظر: القواعد والفوائد الأصولية (ص ٢٩٠) والمختصر (ص ١٣٣) كلاهما لابن اللحام.

الزركشي [١]: ولعل الفرق يعني بين عموم اللفظ وعموم المفهوم أن دلالة المفهوم ضعيفة تسقط بأدنى قرينة، بخلاف اللفظ العام، قال الشوكاني: وهذا فرق قوي، لكنه إنما يتم في المفاهيم التي دلالتها ضعيفة، أما المفاهيم التي دلالتها قوية، قوة تلحقها بالدلالات اللفظية فلا، قال: ومن أمثلته قوله تعالى: "لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة" (آل عمران: ١٣٠)، فلا مفهوم للأضعاف، لأنه جاء عن النهي عما كانوا يتعاطونه بسبب الآجال، كان الواحد منهم إذا حل دينه يقول: إما أن تعطي وإما أن تربي، فيتضاعف بذلك أصل دينه مرارا كثيرة، فنزلت الآية على ذلك [٢]. (إرشاد الفحول: ص ١٨٠)

الشرط الرابع: أن لا يكون المذكور قصد به التفخيم وتأكيد الحال، كقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد" الحديث. [٣] فإن التقييد بالإيمان لا مفهوم له، وإنما ذكر لتفخيم الأمر[٤].

الشرط الخامس: أن يذكر مستقلا، فلو ذكر على وجه التبعية لشيء آخر فلا مفهوم له، كقوله تعالى: "ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد" (البقرة: ١٨٧)، فإن قوله "في المساجد" لا مفهوم له، لأن المعتكف ممنوع من المباشرة مطلقا[٥].

الشرط السادس: أن لا يظهر من السياق قصد التعميم، فإن ظهر فلا مفهوم له، كقوله تعالى: "والله على كل شيء قدير" للعلم بأن الله سبحانه قادر على المعدوم والممكن وليس بشيء، فإن المقصود بقوله "على كل شيء" التعميم.

الشرط السابع: أن لا يعود إلى أصله الذي هو المنطوق بالإبطال، أما لو كان كذلك فلا يعمل به.

---

[١] البحر المحيط (٥ / ١٤٥).

[٢] انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٦٠٢).

وجاء في تفسير القرطبي (٤ / ٢٠٢) عن مجاهد: كانوا يبيعون البيع إلى أجل، فإذا حل الأجل زادوا في الثمن على أن يؤخروا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

[٣] أخرجه البخاري (١٢٨٠) ومسلم (٥٨ / ١٤٨٦).

[٤] انظر: إرشاد الفحول (ص ١٨٠)

[٥] قال ابن المنذر: وأجمعوا على أن المعتكف ممنوع من المباشرة. الإجماع (١٦ / ١٣٣) وانظر: تفسير ابن كثير (١ / ٣٣٦) وبداية المجتهد (١ / ٣١٣).

الشرط الثامن: أن لا يكون قد خرج مخرج الأغلب والعادة [1]، كقوله تعالى: "وربائبكم اللاتي في حجوركم" (النساء: ٢٣)، فإن الغالب كون الربائب في الحجور، فقيد به لذلك، لا لأن حكم اللاتي لسن في الحجور بخلافه [2]، ونحو ذلك كثير في الكتاب والسنة، مثل قوله: "وإن خفتم شقاق بينهما" (النساء: ٣٥)، ومثل قوله عليه السلام: "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها"[3]، لأن الباعث على التخصيص العادة، لأن الخلع لا يجري إلا عند الشقاق[4]، والمرأة لا تنكح نفسها إلا إذا أبى الولي.

الشرط التاسع: أن لا يظهر للتخصيص غرض، سوى اختصاص الحكم، كقوله تعالى: "كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى" (البقرة: ١٧٨)، فإنه دل بمنطوقه على أن القاتل يقتل، بمقابلة من قتله، عند وصفيهما حرية وعبدية وأنوثة، ودل بمفهومه على أن القاتل لا يقتص عند اختلاف الصفة بينه وبين المقتول، لكن يقال إن الآية وإن دلت على مشروعية القصاص عند تحقق المساواة، لكنها لا تدل على انتفاء المشروعية عند اختلاف الأوصاف، لأن القول بالمفهوم عند القائلين به إنما يعتبر حيث لم يظهر للتقييد فائدة، سوى الدلالة على انتفاء الحكم

---

[1] انظر: الإحكام للآمدي (٣ / ١٠٠).

[2] انظر أقوال العلماء في ذلك: بداية المجتهد (٢ / ٣٣) وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢ / ٧٧) وتفسير القرطبي (٥ / ١٠٦) وتفسير ابن كثير (١ / ٧٠٤).

[3] أخرجه أبوداود (٢٠٨٣) والترمذي (١١٠٢) وابن ماجه (١٨٧٩) والشافعي في مسنده (٢ / ١١) وفي الأم (٢٢٠٣، ٢٢١٣، ٢٢١٦، ٢٢٢٥، ٢٣٠٥، ٢٦٤٠، ٣٢٢٦، ٣٧٥١) والطحاوي (٢ / ٤) والحاكم (٢ / ١٦٨) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان (٤٠٦٢) وأخرجه أيضا البغوي في شرح السنة (٩ / ٣٩) وقد بسط الكلام عليه الإمام البيهقي (٧ / ١٠٥ – ١٠٧) والحافظ في التلخيص (٢ / ١٥٦ – ١٥٧) والألباني في الإرواء (١٨٤٠).

أفاد الحديث ببطلان نكاح المرأة إذا تزوجت نفسها، وأن الولاية شرط لصحة النكاح، وهو مذهب الشافعية والمالكية وأحمد.

وقال أبوحنيفة: لا يشترط في الثيب ولا في البكر البالغة، بل لها أن تتزوج نفسها.

انظر المسألة في: المبسوط (٤ / ٢٢٢) والطحاوي (ص ١٧٢ – ١٧٣) والكافي لابن عبد البر القرطبي (١ / ٤٢٦) وبداية المجتهد (٢ / ٨) والأم (١ / ١٦٦٨) وكفاية الأخيار (٢ / ٥٣٩) ومسائل الإمام أحمد برواية صالح (١ / ٤٧٣، ٣٥٧) وبرواية أبي داود (ص ١٦٢) وبرواية ابن هاني (١ / ١٩٩) والمغني (٩ / ٣٤٥) والإنصاف (٨ / ٦٦) واختلاف العلماء للمروزي (ص ١٢١)

[4] انظر: بداية المجتهد (٢ / ٦٨).

عند انتفاء القيد، وههنا قد تحقق فائدة، وهي إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية، من أنهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر، بمجرد كونه من قبيلة القاتل، من غير أن يكون له مدخل في القتل، فتخصيص حكم الاقتصاص بالحر القاتل والعبد القاتل والأنثى القاتلة، لئلا يتعدى ذلك الحكم إلى غير القاتل، ومنع مالك والشافعي [1] عن قتل الحر بالعبد ليس مبنيا على هذا، بل على التمسك بالحديث [2] والقياس على الأطراف[3].



---

[1] أما قتل العبد بالحر فمجمع عليه كما حكاه الشوكاني وغيره. نيل الأوطار (٧ / ١٨).

وأما قتل الحر بالعبد ففيه خلاف بين الفقهاء. منعه مالك والشافعي. انظر: موطأ مالك (٣ / ٧٤ مع تنوير الحوالك) وأحكام القرآن لابن العربي (١ / ٦٣) وبداية المجتهد (٢ / ٣٩٨) والإقناع لابن المنذر (١ / ٣٥٠) وشرح السنة (١٠ / ١٧٧) والأحكام السلطانية (ص ٢٧٢). وهو قول الإمام أحمد (الفتاوى لابن تيمية (١٤ / ٧٣) ونيل الأوطار (٧ / ١٧ – ١٨) وفقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢ / ١٣٤) والملخص الفقهي (٢ / ٤٧٤).

وذهب الإمام الثوري إلى أن بينهما القصاص وبه قال النخعي وقتادة وأصحاب الرأي، لعموم الآيات والأخبار. انظر: المغني (١١ / ٤٧٣) ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: المسلمون تتكأفأ دماؤهم. أخرجه أبوداود (٤٥٣٠) والنسائي (٨ / ١٩) والبيهقي (٨ / ٢٩) والطحاوي (٣ / ١٩٢) والبغوي في شرح السنة (١٠ / ١٧٢) وحسنه الحافظ في الفتح (١٢ / ٢٣١).

قال المجد ابن تيمية: وهو حجة في أخذ الحر بالعبد. منتقى الأخبار (٧ / ١٠).

[2] روى الدار قطني (٣ / ١٤٣ – ١٤٤) أن رجلا قتل عبده متعمدا، فجلده النبي صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة، ومحا سهمه من المسلمين ولم يقده به، وأمره أن يعتق رقبة. في سنده: إسماعيل بن عياش، وفيه ضعف، إلا أن الإمام أحمد بن حنبل قال: ما رواه عن الشاميين فصحيح. وقد رواه عن الإمام الأوزاعي، وهو شامي. وله شواهد تجعله صالحا للاحتجاج. انظر: نيل الأوطار (٧ / ١٧).

ومن شواهده:

١ – عن علي رضي الله عنه، أنه قال: من السنة أن لا يقتل حر بعبد. وأخرجه أيضا البيهقي (٨ / ٣٤)، والدار قطني (٣ / ١٣٣) بإسناد ضعيف جدا، الإرواء (٢٢١٠).

٢ – وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يقتل حر بعبد. أخرجه الدارقطني (٣ / ١٣٣) بسند ضعيف منقطع قال الألباني: "واه جدا"، الإرواء (٢٢١١).

[3] ذكره ابن قدامة في المغني (١١ / ٤٧٣) وقال: ولأنه لا يقطع طرفه بطرفه مع التساوي في السلامة، فلا يقتل به، كالأب مع ابنه. انتهى.

أحوال بلاد الحرمين قبل نحو قرنين

يقول المؤرخ حسين بن غنام (ت ١٢٢٥هـ) وهو يصف حالة نجد وبعض ديار الإسلام من الناحية الدينية والعقدية في زمنه:

وأما ما يفعل الآن – على وقت المؤلف – في الحرم المكي الشريف، زاده الله رفعة وتشريفا: فهو يزيد على غيره، ففي تلك البقاع المطهرة تأتي جماعات الأعراب من الفسوق والضلال والعصيان ما يملأ القلب أسى وحزنا، فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود، وكان لأهل الباطل فيه جولات، فأين ذلك من قوله تعالى: {وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود} [1]، وقوله تعالى: {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم} [2].

ولقد جهروا بكل ذلك، وتظاهروا به عيانا، ولم ينبر من أهل العلم من يزيل هذا الضلال، بل تألبوا على مخالفة الحق، وحاولوا تغيير الصواب، قال تعالى: {وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب} [3]، فمن ذلك، كما قال ابن غنام في تاريخه أيضا:

ما يفعل عند قبة أبي طالب، وهم يعلمون أنه حاكم متعد غاصب، كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم خراجا من المال، فإن أعطي ما أراد انصرف وإلا عاداهم وحاربهم، فصاروا يأتون قبره بالسماعات والعلامات، يستغيثون به عند حلول المصائب ونزول الكوارث، وللجهل خلطوا في هذا القبر بين هذا الحاكم وعم النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سورة الحج، الآية ٢٦.

[2] سورة الحج، الآية ٢٥.

[3] سورة غافر، الآية ٥.

وكذلك ما يفعل عند قبر المحجوب: فكانوا يعظمون أمره، ويحذرون سره، ويلتمسون عنده الشفاعة، لتغفر ذنوبهم، فإن التجأ متعد أو سارق أو غاصب مال، إلى أحد هذين القبرين، لم يتعرض له أحد بما يكره، ولا يتوصل إليه بعقاب، فلا يخشى مغبة ما يقترف.

أما إن تعلق جانٍ مهما تكن جنايته صغيرة بالكعبة فإنه يسحب منها بالأذيال، تفريطا منهم بحقها.

ثم ذكر بعضا مما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين في سرف، وعند قبر خديجة بنت خويلد أم المؤمنين في المعلاة بمكة، وعند قبر ابن عباس في الطائف. وأعظم ذلك ما يفعل عند قبره صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وما يفعل في جدة عند قبر طوله ستون ذراعا يزعمون أنه قبر حواء، وعند معبد يسمى العلوى.

ثم ذكر بعضا مما يفعل في مصر وصعيدها، وفي اليمن قبور: الهادي، والبرعي، وابن علوان، والعيدروس، وعلي بن عمر الشاذلي، والشيخ صديق، والزيلعي.

وذكر ما يفعل في بقية الجزيرة العربية، وفي شمالها: حلب ودمشق وأقصى الشام، والموصل وبلاد الأكراد وبغداد وكربلاء وخاصة مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبقية أجزاء العراق .. حيث ذكر الشيء الكثير مما لا يرضي الله، ولم يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم [١].



[١] انظر (تاريخ ابن غنام) تحقيق د. ناصر الدين الأسد مقابلة الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، الفصل الأول، ١ / ١٠ – ١٩.

(نقلا عن كتاب: "دور الدولة السعودية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في النهضة العربية الحديثة" للدكتور محمد بن سعد الشويعر).

من أخبار الجامعة السلفية

وفد سعودي يزور الجامعة السلفية:

قام وفد موقر من الرياض بزيارة الجامعة بنارس في يوم الأحد: ٢٨ / ١١ / ١٤٣٦هـ = ١٣ / ٩ / ٢٠١٥م، وكان الوفد مكونا من كل من سعادة الشيخ خالد بن صالح الداود، رئيس لجنة شبه القارة الهندية، منسق تنمية الموارد، بالهيئة العالمية للتنمية البشرية بالرياض، التابعة لرابطة العالم الإسلامي، وسعادة الأستاذ سمير حمد الجمعة، زار الوفد أولا مدرسة زيد بن ثابت لتحفيظ القرآن الكريم، واستمع إلى بعض طلاب التحفيظ، وأبدى إعجابه بجهود القائمين عليه. ثم وصل الوفد إلى الجامعة وقام بجولة على الفصول الدراسية والمكاتب الإردادية والمكتبة المركزية، وبعده اجتمع مع الأمين العام للجامعة فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبدالوحيد في مكتبه، واستمع منه على ما تقوم به الجامعة من خدمات في مجالات التعليم والتربية والدعوة والإرشاد والترجمة والتأليف، وأشاد بخدمات الجامعة وإنجازاتها، وتبادل الآراء حول عدد من القضايا المتعلقة بالتعليم والدعوة، وقدم توجيهات مفيدة ومقترحات نافعة يستفيد منها المسؤولون بإذن الله تعالى.

بدء العمل بعد إجازة عيد الأضحى:

فتحت الجامعة السلفية أبوابها بعد إجازة عيد الأضحى في يوم السبت: ١٨ / ١٢ / ١٤٣٦ هـ = ٣ / ١٠ / ٢٠١٥م، وعاد الطلاب والمدرسون والموظفون بعد قضاء نحو أسبوعين مع أهاليهم وذويهم، وأخذوا في أداء واجباتهم. ونظرا لتوتر الأوضاع الأمنية في مدينة بنارس لبعض الوقت توقفت الدراسة ليومين: ٥ – ٦ / أكتوبر ٢٠١٥م ثم عاد النشاط الدراسي والدعوي إلى طبيعته، ولله الحمد.

❖❖❖